وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور – خنشلـــة –

كليـــــة الآداب واللغـــات
قســـم اللغـــة والأدب العـربي
تخصص:أدب حديث ومعاصر

الشرق والغرب في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي
– محاولة في سمياء الثقافة –

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لنيل شهادة الماستر2

إعداد الطالبة:
نجاة سابق

إشراف الأستاذ:
د/ميلود رقيق

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
إيمان ملال	أستاذ محاضر _ ب _	جامعة خنشلة	رئيسا
ميلود رقيق	أستاذة محاضرة _ أ _	جامعة خنشلة	مشرفا ومقررا
سهام اوصيف	أستاذة مساعدة _ أ _	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2017 -2018

شكر وعرفان:

الشكر أولاً وأخيراً لرب العزّة جل جلاله، بحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من هداه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدً عبده ورسوله-صلى الله عليه وسلو- وبعد عن "أبي هريرة" رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلو << لا يشكر الله من لا يشكر الناس>>.

أخص بالفضل وأعترف بالجميل وأنطق بكلمة شكر لكل من ساعدني من قريب أو من بعيد وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور رقيق ميلود كما لا أنسى شكر الأستاذة راضية على دعمها لي وكذا كافة الأصدقاء والزملاء الذين كان لهم الفضل في انجاز هذا العمل المتواضع.

مقدمة

مقدمة:

يعد مالك بن نبي المفكر الجزائري أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، ويعتبره المفكرين والباحثين امتدادا للعلامة اِبن خلدون ويعتبر ابن نبي ومدرسته من أكبر المدارس الفكرية، التي كان لها أثرا واضحا في تحديد ملامح الفكر الإسلامي الحديث، حيث اهتمت أكثر من غيرها من المدارس الأخرى بدراسة مشكلات الأمة الإسلامية انطلاقا من رؤية حضارية شاملة كاملة استمدها من معايشته للغرب.

إن مالك بن نبي منذ ولادته 1905م وحتى وفاته 1973م، شكل ظاهرة بارزة في خريطة العالم العربي الإسلامي المعاصر، فهو شخصية متعددة الأبعاد متنوعة النشاطات، متحرك المواقع كانت له اهتمامات ونشاطات سياسية تمخضت أساساً من معايشته لواقع الاستعمار سواء في محيطة الضيق (الجزائر) من 1905-1930م أو الواسع العربي الإسلامي والغربي في فرنسا 1930-1939م، فكانت حياته بذلك حياة كفاح، منذ الطفولة إلى حلقاته وهو متقاعد في بيئته حيث لم تنقطع شهادته الحية على مدى تلك الفترة من خلال تحاليله الفذة لمجريات الأحداث، ومعالجته لمشكلات الحضارة شاهداً على القرن بكل رواسبه الاستعمارية والثورية فخلدها من خلال كتابته لكتاب مذكرات شاهد لقرن بجزأيه.

وقد كان اختيار موضوع الشرق والغرب في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أ- الأسباب الذاتية:

- الرغبة في توسيع معارفنا والميل الشخصي لدراسة مالك بن نبي كموضوع بالإضافة إلى الرغبة في الخروج من دائرة المواضيع المكررة.

ب- الأسباب الموضوعية:

- أهمية الموضوع وحساسة بالنسبة للشعب الجزائري والدّور الذي لعبه مالك بن نبي سواءاً في الجانب الفكري أو التوثيق التاريخي لتاريخ الجزائر من خلال مذكرات شاهد للقرن بجزأيه، فحاولنا بذلك التعريف بعالم جزائري كرّس حياته لخدمة الأمة الإسلامية عامة ووطنه الجزائر خاصة، كما أن الجزائر هي اليوم أحوج من أي وقت آخر إلى فكر مالك بن نبي ومعرفة تاريخها الصحيح الخالي من التزييف والتحريف.

والهدف من هذه الدّراسة هو تسليط الضوء على أحد رواد الفكر الإسلامي المعاصر ألا وهو مالك بن نبي، وتسليط الضوء على الشرق والغرب أثناء الفترة الاستعمارية وإبراز الوجهين المتناقضين للغرب وتسليط الضوء على الحضارة الغربية.

تركزت أفكار مالك بن نبي في تحليل أهم قضايا العالم الإسلامي كالحضارة، الثقافة الاستعمار، التخلف في الشرق والتقدم الحضاري في الغرب فتناولها بالدراسة في مؤلفه مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي، ونحن بدورنا سعينا لتسليط الضوء على هذا الموضوع

والإحاطة به، نطرح الإشكالية التي اِستنبطت أساساً من تلمس مختلف جوانب البحث تتركز في: – **ما هي أهم القضايا التي طرحها مالك بن نبي في كتابه مذكرات شاهد للقرن بقسميه؛الطفل 1905–1930م والطالب 1930–1939م؟** والتي شكلت في أغلبها الحديث عن الشرق والغرب في العهدة الاستعمارية في الجزائر.

وللإجابة على هذا الإشكال يجب أولا الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

– ما هي أهم المؤثرات التي ساهمت في إثراء فكره ومكوناته الشخصية؟

– ما هي إسهاماته الفكرية؟

– كيف كانت نظرته للمستعمر في الشرق والمستعمر الفرنسي في الغرب (بلده)؟

– ما الفرق بين الحضارة الغربية والشرقية ومدى تأثير المستعمر على الشرق؟

– وما هي غايته من كتابة مذكراته للشعب الجزائري؟

في الأغلب طبيعية الموضوع هي التي تفرض المنهج الملائم لتلك الدراسة وانطلاقا من محاولة الوقوف على مختلف جوانب البحث اعتمدنا على **المنهج الوصفي والتحليلي** وذلك من خلال تسجيل أهم النصوص والآراء والموقف ووصفها بشكل تحليلي يساعد على توضيح محدّدات البحث وتبسيطها.

اعتماداً على المنهج المتبع ولغرض الوصول إلى أهداف البحث سعيا منا لبلوغ التسلسل في الأفكار، فقسمنا بحثنا إلى مقدمة، خاتمة وثلاث فصول، حيث تضمنت المقدمة تعريفا بالموضوع، إشكاليته، أهميته، دوافع اختياره ثم تحليل الموضوع وفق ثلاث فصول؛ تطرقنا فيها إلى مختلف المراحل التي مرّ بها المفكر مالك بن نبي خاصّة بين سنة 1905–1930

وكذا الفترة 1930-1953م حيث كان **الفصل الأول** بعنوان "حياة مالك بن نبي" تطرقنا فيه إلى ترجمة لحياته من مرحلة الطفولة حتى وفاته سنة 1973.

وجاء **الفصل الثاني** تحت عنوان "عطاؤه الفكري" حيث تطرقنا فيه إلى المشارب الحضارية لمالك بن نبيكما تحدثنا عن آثاره ومؤلفاته وأهم ما ميز هذا الفكر عن غيره من المفكرين، أما **الفصل الثالث** فهو عبارة عن فصل تطبيقي للبحث تحت عنوان "الشرق والغرب في مذكرات شاهد للقرن" وقد تخلل هذا الفصل المباحث التالية: **المبحث الأول** "عرض كتاب مذكرات شاهد للقرن" وقد تخلله ملخص لقسمي الكتاب؛ **القسم الأول** "مالك بن نبي الطفل" 1905-1930م.

و**القسم الثاني**،" قسم الطالب" 1930-1935م حيث تخلل هذا الملخص أهم المحطات والمواقف التي مرّ بها التكوين الفكري لمالك بن نبي، وما أرخه من خلال مذّكراته بقسميه.

يليه المبحث الثاني"الهدف من كتابة بن نبي لمذكراته" ثم المبحث الثالث والرابع "الشرق في مذكرات شاهد للقرن" و"الغرب في مذكرات ساهد للقرن"، وقد اعتمدنا على مراحل الحضارة في التحليل والمراحل التي مرت بها الجزائر خلال مرحلة الطفولة ومرحلة الطالب لإبن النبي وأخيراً تضمن البحث خاتمة عامة وشاملة تتضمن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا الموضوع.

أي دراسة تتطلب التقصي إلا وواجهتها صعوبات خلال مرحلة من مراحلها البحثية، ونذكر من بين جملة الصعوبات التي واجهتنا خلال قيامنا بهذه الدراسة، نذكر:

واجهتنا في البداية صعوبات لا تتعلق بالبحث العلمي بحد ذاته ذلك بمروري بفترة مرضية لم أستطع من خلالها جمع المادة العلمية نظراً لعدم توفرها في ولاية خنشلة، مما اضطرني للسفر لولايات أخرى.

- أما فيما يخص العراقيل فهي نفس العراقيل التي تواجه أي باحث أكاديمي خاصة وأن موضوع اجتماعي وفلسفي أكثر منه أدبي.

- وكذا تميز أسلوب بن نبي ودقة وعمق أفكاره يتطلب بذل الجهد الكبير لفهمها وتحليلها وشرحها.

الفـــصـل الأول:

حـــيـاة مـالـك بـن نـبـــي

تـمـهيد

المبحث الأول: المولد والنشأة

المبحث الثاني: مرضه ووفاته

المبحث الثالث: صفاته الخلقية والخُلقية

المبحث الرابع: شخصية مالك كما عرفه معاصروه

خلاصة

تمهيد:

مالك بن نبي هو من المفكرين الذين تستطيع أن تقرأ لهم عدة مرات، وفي كل مرة نكتشف جديداً، تستطيع أن تقرأ لمالك بن نبي ثم تنسى كل ما قرأت، ومع ذلك تتأثر بالرجل وبأفكاره بشكل عميق، ذلك أنه لا يضيف إلى معارفك جديداً متميزا فقط، بل يحدث تغييرا نوعيا في ثقافتك، وتكتشف دائما أنك متأثر بما طرحه الرجل.

هذا هو مالك بن نبي الذي امتدت حياته ما بين أوائل القرن العشرين وثلثه الأخير، فكان بذلك شاهداً على أدائها في هذا الوجود، فكان منذ طفولته حتى وفاته حريصا على تلقي المعرفة والهجرة من بلد لآخر دون أن يمنعه من ذلك غرور بمنصب أو رغد في العيش وذلك عائد إلى قوة شخصيته وإلى الدعم الذي تلقاه من أسرته وأصدقائه وخاصة زوجته خديجة التي شاطرته حياته في السراء والضراء.

المبحث الأول: مولده ونشأته

هو **مَالِكْ بنْ الْحَاحْ عُمَرْ بَنْ لَخْضَرْ بَنْ نَبِيْ**[1] ولد بقسنطينة سنة 1905م شرق الجزائر في أسرة فقيرة محافظة[2]، حيث كان والده يشغل منصب <<خوجة>>[(*)] بالإدارة الحكومية في تبسة، وكانت والدته تعمل خياطة لتوفر ما يلزم لسد رمق العائلة[3] ولد في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حيا من شهوده، والإطلاع على المستقبل عبر الأوائل من رواده[4]، وشأن أسرة مالك في ذلك الوقت شأن أي أسرة محافظة، حيث تكون الأسرة الجزائرية تحت إشراف الوالد أو الأخ الأكبر، فإن الأم أو الأخت الكبرى هي صاحبة الأمر والنهي، وإذا كان الأمر يتعلق بشؤون بالغة الأهمية مثل الزواج والطلاق، فإن المسؤول الأول يعقد مجلسا عائليا يستمع لآراء جميع الراشدين.

انتقل مع أسرته إلى تبسة حيث زاول تعليمه الابتدائي والإعدادي، ونجح في امتحان المنح ذلك كان ذا دلالة لطفل من الأهالي، ما كان في وسع أبويه أن يرسلاه إلى المدرسة الثانوية، فكانت سنته الدراسية 1921-1922 الحلقة الذهبية الثانية في تكوينه حيث تعرف على بعض تلامذة الشيخ **عبد الحميد بن باديس** فشعر أنهم إياه ينتمون إلى الخط الفكري عينه، وفي هذه الحقبة الدراسة كان يذهب لقضاء العطلة الصيفية عند والديه في "تبسة" وفي السنة الرابعة من دراسته(1925/1924) بدأ يفكر بالمستقبل وبعد انتهاء العام الدراسي سافر مع صديق له اسمه **قاواو**، يبحثان عن عمل، قرار<< مارسيليا وليون>>، وعرجا على باريس، ولم يحضيا بعمل مناسب فعادا إلى الجزائر متجها إلى "تبسة" أين كان يتردد على ناد كان يديره **الشيخ العربي التبسي** وحاول أن يعمل في المحكمة ككاتب، ودخلها كمساعد في البدء، يعمل مع المكلفين بتنفيذ الأحكام في الأرياف المجاورة لتبسة، إلى أن عُين رسميا كاتبا في المحكمة[5] وفي شهر مارس 1928م توقف بقسنطينة حيث اِلتقى **الشيخ ابن باديس** ثم واصل وجهته نحو تبسة التي وجدها تغلي بحمى الإصلاح حيث بني المسجد الجدي

1- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن بني حياته وفكرة، مكتبة فهد الوطنية، ط1، 1416هـ، ص59.

2- موقع الأستاذ مالك بن نبي، محطات في حياة مالك بن نبي www.binnabi.net

(*)- خوجة حاجب: موظف ذو مهمة بسيطة.

3- أسعد السحمراني: مالك بن نبي<<مفكراً إصلاحيا>>، دار النفائس، ط1، 1404هـ، 1819م، ص13.

4- مالك بن النبي: مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر-دمشق- البرامكة، ط2، 2004، ص15.

5- أسعد السحمراني: مالك بن نبي <<مفكر إصلاحيا>>، مرجع سابق، ص14، 15.

والمدرسة وقد جمعت التبرعات من أجل البناء[1]، وبعد انتهاء العطلة نقله إلى محكمة شلغوم العيد، فلم يعجبه تسلط كاتب محكمة الصلح الكورسيكي، فحدث خلاف بينهما انتهي باستقالة مالك من الوظيفة.[2]

وفي سنة 1930، صادف الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي بادر فيها الاستعمار باحتفالات كبيرة، وقرر حينها مالك بالتوجه إلى فرنسا لمزاولة دراسته فيها، بعد أن وعده أبوه بإعانة مالية تقدم أولا إلى معهد الدراسات الشرقية بباريس لكن إدارة المعهد رفضت تسجيله بالرغم من توفيره الشروط المطلوبة فسجل بعد ذلك في معهد الكهرباء الذي يحمل اسم مؤسسة(sudria) وتخرج منه سنة 1936، تعرفت في بارسي على جمعية الشباب المسريحي(jeunes chrétiens anoidiio) الكائنة بشارع تريفيس(trevrise) وألقي بمقرها في شهر ديسمبر من سنة 1931 أول محاضرة له بعنوان:" لماذا نحن مسلمون؟"، فانبهر به جميع الطلبة وعلامته بين الأوساط الفكرية مع صيت صديقة الحميم **حمودة بن ساعي*** الذي ألقي هو الآخر محاضرة في نفس السياق بعنوان:"الإسلام السياسة" وعلى إثر ذلك ثار في حالية الشمال الإفريقي الشعور بأصالتها والدفاع عن هويتها فتقرر تأسيس "جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا" وعين مالك بن نبي رئيسا لها.[3]

وفي السنة نفسها فكر مالك بن نبي في تحصين نفسه حيث يقول:<<إن باريس مدينة تخشى عواقبها، فبدأت أفكر كيف أحصن نفسي من مغرياتها، وذات يوم وأنا في غرفتي وأن أمام النافذة- إذ انطلق من أعماقي دعاء وتضرع إلى الله... وقد تولى الله الأمر فهداني إلى زوجي وهداها هي، فسمت نفسها خديجة>>[4]

حيث كانت بالنسبة لمالك السند والعون، لتوفير سبل الراحة، ومشاركته آرائه وأفكاره، وخاصة مناقشاته مع (حمودة بن ساعي).

1- مالك بن نبي: مذكرات مالك بن نبي، مرجع سابق، ص147.

2- مالك بن نبي: مالك بن نبي <<مفكرا إصلاحيا>>، مرجع سابق، ص15.

*- حمودة بن ساعي: طالب في قسم الفلسفة في جامعة السوريون، وتلميذ المستشرق الفرنسي المعروف "لويس ماسينيوسن" يتميز بذكاء كبير واطلاع واسع على الثقافة والسياسة وقضايا العالم الإسلامي.

3- موقع مالك بن نبي، محطات في حياة مالك بن نبي www.binnabi.net

4- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، مرجع سابق، ص236.

وبوفاة والدته صيف 1934م، بدأت مشكلة جديدة عنده حيث أجمع أفراد عائلته على ضرورة تزويجه من ثانية لأن زوجته خديجة لا تنجب والكل يريد له أولاداً تحقيقا لأمنية والدته.[1]

فكتب الله ز وجل أن يتزوج ثانية قريبة له وأنجبت له توأم بنات سماهما: **إيمان** و**نعمة** حيث يقول الأستاذ **فوزي الحسن**:<<أم هذا الزواج دافعه الأساسي أن مالكا يحتاج لمن يعينه في حياته ولم يكن مع فكرة استخدام إنسانة كخادمة لهذه الغاية>>.[2]

وفي سنة 1935 تخرج ابن نبي مهندسا في الكهرباء، فعاد إلى الجزائر بنية خدمة أبناء الوطن بتأسيس معهد بقسنطينة لمساعدة الطلبة الجزائريين الراغبين في دخول كلية الهندسة بفرنسا، لكن السلطات الفرنسية منعته من ذلك، فعاد إلى فرنسا عام 1936م وتعرف خلال هذا العام على بعثات أزهرية من بينها (**الشيخ محمد عبد الله درّاز**)[*] وكذلك تعرف على الطلبة العرب المقيمين في باريس والذين أصبحوا فيما بعد مفكرين وعلماء كبار أمثال: **صبحي الصالح محمد لمبارك**، فتعرف من خلالهم **بن نبي** على المشرق العربي
واستفاد من ثقافتهم العربية والإسلامية الواسعة، وفي سنة 1938 أشرف **مالك بن نبي** علي نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة بمرسيليا، لكن السلطة الفرنسية أوقفته بذريعة عدم امتلاك[3] <<المؤهلات الكافية لتدريس ألف باء>>.[4]

بعد هذه لتجربة الفاشلة عاد **ابن نبي** رفقة زوجته إلى الجزائر بدعوى من أبيه، وبقي طوال مدة إقامته يتناقش مع أصدقائه حول الوضع السياسي في العالم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، حتى أنه قرر أن ينشر مقال في جريدتي "الحزب الوطني الجزائري" و"الحزب الوطني التونسي" ولكن ككل مرة لم ينجح في نشر مقاله وخذل.

1- أنظر: الدكتور أسعد السحمراني: مالك بن النبي لا<<مفكراً إصلاحيا>>، ص- ص16-17-18.

2- المرجع نفسه، ص18.

*- الشيخ محمد عبد الله درّار(1894-1958): عالم مصري، نال شهادة العالمية من جامع الأزهر في سنة 1916 وعين مدرسا ثم أستاذ للتفسير بكلية أصول الدين، تحصل على شهادة الدكتوراة في فلسفة الأديان بجامعة السوربين برسالة عنوانها<<الفلسفة الأخلاقية في القرآن>>، من مؤلفاته دستور الأخلاق في القرآن الكريم، أنظر: الموسوعة العربية المسيرة، ص787.

3- أنظر: مالك بن نبي، رجل الحضارة (مسيرته وعطاؤه)، دار الأمل، د.ط، د.ت، ص- ص15-16-17.

4- مالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، 1986، ص119.

اندلعت الحرب العالمية الثانية، فقرر العودة إلى فرنسا يوم 22 سبتمبر 1939م مودّعا بذلك الأراضي الجزائرية واصفا إياه بالأرض العقوق تطعم الأجنبي وتترك أبنائها للجوع قائلا:<< إنني لن أعود إليك إلى أن تصبحي حرة>>.[1]

فبقي فيها حتى مجيئه إلى القاهرة حوالي سنة 1956[2] إلى غاية 1965 حيث تفرغ في هذه الفترة للعمل الفكري فكانت أغنى مراحل عطائه وإبداعه، ثم عاد إلى الجزائر وعمل مديراً للتعليم العالي، ولكنه استقال من منصبه سنة 1968[3]، ليتفرغ للعمل الفكري والإصلاح وهكذا قضي ما بقي من سنوات عمره إلى أن توفاه الله تعالى إثر أسباب مرضية سوف يتم عرضها في العنصر اللاحق.

1- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن: القسم الثاني (الطالب)، مرجع سابق، ص416.

2- أسعد السحمراني، مالك بن نبي<<مفكراً إصلاحيا>>: مرجع سابق، ص17.

3- المرجع نفسه، ص18.

المبحث الثاني: مرضه ووفاته

أصيب الأستاذ **مالك بن نبي**–رحمه الله تعالى– بمرض السرطان في الدماغ، وقد كان ذلك سرى إليه من البروستات عبر العمود الفقري، وقد اشتد به المرض بحد عودته من مدينة الأغواط حيث كان يلقي بعض المحاضرات هناك فسافر من أجل ذلك إلى باريس للعلاج، فأجريت له عملية جراحية استرد بعدها صحته لمدة عشرين يوما، ثم عاوده المرض فنصحهم الطبيب المعالج بأن يعودوا به إلى البلاد لأنه لا أمل له بالشفاء، فعادوا به إلى الجزائر، وبعد ثمانية أيام توفي– رحمه الله[1] في (4 شوال 1393هـ– 31 من أكتوبر 1973م) وهو في الثامنة والستين من عمره[2] الساعة الحادي عشر وخمسة وعشرون دقيقة مساءاً بمنزلة في الجزائر.[3]

رحل العلامة والمفكر الكبير، ولكنه بقي حيا بأفكاره المجسدة في المؤلفات التي تركحها لنا والتي سنعرّج عليها في الصفحة الموالية.

1– عبد الله حمد الحويسي: مرجع سابق، ص166.

2– موقع إلكتروني: www.binnabi.net

3 – عبد الله حمد العوسي: مرجع سابق، ص166.

المبحث الثالث: صفاته الخلقية والخُلقية

أ- الخَلقِية:

وصفه **إبراهيم عاصي** قائلا:<< إنه رجل يميل في قامته إلى الطول غير بدين، لم يكتمل الشيب في رأسه بعد، وإن كان الوقار سمته، رقيق الحاشية، متوقد العينين، يطل بهما من وراء نظارته الطبية بادي الاهتمام بهندامه إن لم نقل التألق...وإذا تحث انفعل هادئاً مع حديثه، وبدا كمن يلد الأفكار أو يتمحض عنها، إلاَّ أن جوابه حاضر غير شرود، إذ تكفيه إلا طراقة العجلى لدى مفاجأته بسؤال ما حتى يرفع وجهه إليك ثانية، ويعطيك الجواب الفاصل.[1]

ب- الخُلقية:

أما عن صفاته الخُلقية:

فيقول الأستاذ الدكتور عمار الطالبي:<<يشعر في أعماقه بأن له رسالة وبالرغم من الصعاب التي واجهته في حياته الشاقة، فإنه لم يتزلزل في يوم، ولم يشعر بأن عليه أن يترك رسالته، ويلقى بعبئها شخصيته شخصية أخلاقية، ملتزمة بالأخلاقية الإسلامية الصافية ذو أصالة وهمة عالية، وأنفه شامخة وعوده لا يلين في الحق، وقلبه لا يخشى فيه لوم لائم، ولعل تكوينه الرياضي والعلمي وسمه بوضوح لا لبس فيه، وذلك في يقين ما أصل فيه فضائله العقلية، ورسخ ميزاته الأخلاقية>>[2].

ووصفته زوجته حيث قالت:<< كان طيب القلب للغاية، يغضب أحيانا ولكنه لا يحمل حقداً على أحد، فقد كان ذا أخلاق عالية، حنونا مؤمنا بالقضاء والقدر، لا يبالي في سبيل الحق، وكان –رحمه الله– ملتزما بالإسلام، ومحافظاً على فرائضه، ويكره الاختلاط، ولا يسمح لأهله بذلك>>[3].

1- عبد الله بن محمد العويسي: مرجع سابق، ص- ص158-159.

2- مجلة الثقافة الجزائرية: عدد11، 1974هـ، ص16.

3- عبد الله بن حمد العويسي: مرجع سابق، ص159.

إلى جانب ذلك كان يتسم بحدّة الطبع[1]، وقد بدا ذلك يظهر عليه مبكرا أثناء الدراسة في قسنطينة ، يقول في ذلك:<< كان تدهور وسطى يأخذ بتلابيب، ويبعث الحزن والأسى في نفسي من غير أن أفهم أسبابه الاجتماعية، ولا عواقبه الخلقية.

وقال عن خُلقه:<< وفي هذا الوسط الذي يعتريه التغيير والتغير، شرعت بعض الملامح والسمات تظهر على طبعي، فكنت أجاهر أفكاري بصراحة، وكنت أعلنها بسخرية فيها بعض القسوة أحياناً... وأنا أعرف الآن أن هذه السمة في طبعي شيء جوهري في كياني، وبهذا يمكن أن تشرح كثيراً من الأشياء في حياتي، ولا سيما فقدان المرونة، ذلك الذي يلومني فيه خيرة أصدقائي>>[2].

ولكنه مع ذلك كان يتصف بصفة حميدة، وهي الرجوع إلى الحق متى ما يتبين خطؤه.[3]

وهناك ظاهرة في سلوك **مالك بن نبي** لاحظها كل من له بها علاقة أو صاحبه ولو لفترة قصيرة، وهي ما يمكن أن يعبر عنه بالقلق أو بالإحساس بالمطاردة من قبل الاستعمار، وربما كان ذلك لطبيعة الحياة التي عاشها، ولا سيما منذ دراسته في فرنسا إلى أن توفي[4]، وترى زوجته أن إحساسه ذلك كان في موضعه، وتقول إننا نحس بذلك أثناء حياته، أما تلميذه رشيد بن عيسى فيرى أن ذلك الإحساس كان حقيقيا في أيامه الأولى، أما بعد ذلك فهو حالة مرضية السبب ما تعرض له في السابق، وذلك أن كتابته في الصراع الفكري ليست صحيحة فذلك الجانب المرضي لم يؤثر على كتابته في هذا الموضوع.[5]

2- عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص159.

3- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، ص- ص20-121.

4- المرجع نفسه، ص240.

5- عبد الله بن محمد العويسي: مالك بن نبي-حياته وفكره، مرجع سابق، ص160.

6- عبد الله محمد العويسي: ، مرجع سابق، ص106.

المبحث الرابع: شخصية مالك كما عرفه معاصروه

إن مالك بني الذي وقف حياته للإصلاح، عمل في ميدان الفكر ولم يعمل في مجال اختصاصه كمهندس كهربائي لأن شعوره بالخطر الاستعماري، والمعاناة التي عاشها مع شعب الجزائر، جعلته يجيب كل من يسأله: بلدي حاليا بحاجه إلى مفكرة أكثر منه إلى مهندس.

– يقول فيه الأستاذ **فوزي الحسن**(*):<< مالك إنسان مسلم بكل ما لكلمة إسلام من بعد إيماني وفكري، وكان يترجم إسلامه في سلوكه وأعماله وأقواله كان يقدس الثورة كفكرة، ويفهمها أنها إرادة تعبير هادف>>.

– ويضيف:<<عندما سكنت معه في منزل واحد وجدته في حالين اثنين: إما عابدا وإما مفكرا وكاتبا، فإذا كان شباك غرفته مفتوحا فهو كاتب، وإذ كان مقفلا فهو عابد مسبح، لم يكن مالك يرتاد أماكن اللهو والتسلية، أو يمارس أي نوع من الألعاب حتى التدخين حرمه على نفسه.

<< وكان ذا ثقافة واسعة، يجيد الحوار والرّد على سائله بشكل مقنع شاف، حتى أنه كان يستطيع تحديد اختصاص السائل العلمي، لمجرد توجيهه الأسئلة حول أي موضوع، كان ينشر كتبه لغرض إيصال فكرة، ولذلك كانت تباع بسعر زهي مما يوقعها بعجز سيده من جيبه>>[1].

– ويقول فيه **الدكتور مصطفى السّباعي**:<< الأستاذ مالك الجزائري الأصل، مجاهد في سبيل القضية الجزائري بقلمه ولسانه جهاداً يعرف له فضله فيه، زعماء حركة التحرير الجزائري منذ نشوئها... ويتميز الأستاذ **مالك بن نبي** في جميع مؤلفاته بعمق التفكير ومنطقيته وواقعية، وقوة أسلوبه في الدّفاع عن الأفكار التي يتبناها...

وقد استطاع **الأستاذ مالك** بأسلوبه الذي تفرد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية، أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع

(*)– الحسن، أحمد فوزي: لسان الأدب العربي في جمعية المقاصد بيروت، مقابلا، شخصيته أجريت معه في منزله نهار الجمعة في عدد شباط، 1983م، ص20.

1– مالك بن نبي<< مفكراً إصلاحياً>>، مرجع سابق، ص20.

احتفاظه بقوة العقيدة، وسلامته التفكير وبدأ يرى في الأستاذ ابن بني رائده الفكري البعيد النظر القوي الإيمان، المناضل بقلمه، في سبيل الله والإسلام>>.[1]

– ويقول فيه **المحامي عمر مسقاوي**:<< تنطلق أفكار **ابن نبي** لا لتضيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه، أو عملياً مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسيير بالإنسان خطورة متقدمة>>.[2]

– ويقول الأستاذ **عمر مسقاوي**:<<الأستاذ مالك يطرح الإسلام كملهم لقيمنا وقادر على استعادة دور الإنسان مبرأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككاتب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية>>[3].

– ويقول **المحامي سقاوي**:<< فقد أتاحت له نشأته في الجزائر، أن شهد يوميات الاستعمار تحمل حصيلة مئة عام قبله أو يزيد، وكان ذلك نقطة اتصال هامّة كونت في فكر الأستاذ مالك تجربة نقلت قلمه من صفحة الأرقام كمهندس إلى صفحة الفكر يتعرض لمشكلات الحضارة بدلا من مشكلات الإنتاج الحضاري، لقد وجد نفسه كمثقف جزائري أمام ترتيب ضروري لرسالته في المجتمع، فلا بد أولا من بناء الإنسان قبل بناء الآلة حتى لا تضع العربة قبل الحصان فتمنع في استحالة الوصول إلى الهدف>>[4].

– ويقول عنه **الأستاذ أنور الجندي**:<< مالك بن نبي يختلف كثيراً عن الدّعاة للمفكرين والكتاب، فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدّقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرّومان والمسيحية>>[5].

1– أسعد السحمراني: مرجع سابق، ص21.

2– مسقاوي، عمر كامل: نظرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، ط1، 1959، ص57.

3– المرجع نفسه، ص47.

4– أسعد السحمراني: مرجع سابق، ص22.

5– الجندي أنور: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال لإفريقيا، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1925، ص14.

– ويقول فيه **الدكتور عبد العزيز الخالدي:**<< **ابن نبي** في الواقع ليس كاتبا محترفا، أو عاملا في مكتب على أشياء خامة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصّة بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقية والاجتماعية>>[1].

– ويقول فيه عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق، **الأستاذ محمد المبارك:**<<إنه عربي مسلم، ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء، وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذنا، ومعرفته لمصادرها ولدوافعها الخفية وبواعثها العميقة، ولا سيما أنه جمع إلى جانب الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء، عميقة الأغوار كما تدل عليه آثاره ومؤلفاته العديدة التي قرأناها...

لقد تجمعت في قلبه ونفسه في عاطفته وشعوره، في عقله وتفكيره مآسي أولئك الملايين من البشر، الذي يعيشون على أرض الجزائر ضحايا لمدينة القرن العشرين، وأمثلة بارزة لانحطاط أهدافها وغايتها>>[2].

– ويقول عنه الأستاذ **محمد الميلي:**<< سيتخلص **ابن نبي** في كتاباته...إن خلاص العالم يتمثل في تطويع تكنيك الغرب لروح الإسلام... وكان فكر **ابن نبي** مدعواً لأن يلعب دوراً معتبراً بعد الاستقلال، لكن هذا الدور كان محدوداً بفعل عاملين؛ الأول هو نظريته عن قابلية الاستعمار التي استغلها أعداؤه ضده عندما جعلوها نوعا من قابلية الاستعمار التي استغلها أعداؤه ضده عندما جعلوها نوعا من التبرير للاستعمار، الثاني هو الظرف الخاص الذي عرفته الجزائر بعد عام 1962، والذي تلعب فيه إغراءات التجديد...وكذلك إغراءات التقليد للغرب وأنماطه للحضارة الغربية والاستفادة منها إلى أقصى حد>>[3].

1– الخالدي عبد العزيز: مقدمة كتاب شروط النهضة، مالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، 1979، ص7.

2– المبارك محمد: مقدمة كتاب<< وجهة العالم الغسلامي>>، مالك بن نبي، بيروت، دار الفكر، 1969، ص– ص5–63.

3– أسعد السحمراني: مرجع سابق، ص23.

خلاصة الفصل:

ذلك هو مالك بن نبي صاحب هذه الأقوال وصاحب الشخصية الأكثر تأثيراً على الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة، ولأن كان له من العمق والاتساع بمكان، لا يستطيع أن يوفيه حقه أو يدرك ملامح هذا التأثير أو يحيط بها.

ذلك هو مالك بن نبي المفكر الجزائري الذي يستحق منا دراية واستقصاء واقتراب من جوانبه الشخصية والموضوعية، ومن تضاريس عصره وبيئته في محيطها الضيق (الجزائر) والواسع (العربي الإسلامي) وحتى العالم الغربي.

الفـــصـــل الثاني:

عــطـــاؤه الـــفـكـري

تمهيد

المبحث الأول: مرجعيته الفكرية

المبحث الثاني: مؤلفات مالك بن نبي

المبحث الثالث: قراءة في فكر مالك بن نبي

المبحث الرابع: معتقدات مالك بن نبي وأقواله المأثورة

خلاصة

تـمـهيد:

إذا عّد المفكرون من المسلمين في هذا العصر، فإن مالك بن نبي من هذه الفئة الذي ينطبق عليه هذا الوصف، فالمفكر هو الذي يدرس ويتأمل، يقارن ويتأمل ويحلل المشكلة إلى أجزائها، ثم ينسق ويكب ويجتهد في إيجاد الحلول.

إن عمق الفكرة وتشابكها عند مالك بن نبي تجعل الإنسان يقف حائراً أمامها: من أين جاءته؟ وما هي الخلفية الثقافية التي جعلته يتبنى هذه الأفكار التي صنعة ملامح الفكر الإسلامي الحديث بدراسة مشكلات الأمة الإسلامية، اِنطلاقا من رؤية حضارية شاملة ومتكاملة، لقد كانت جهوده لبناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموماً متميزة سواءاً من حيث المواضيع التي تناولها أو المناهج التي اعتمدها في ذلك التناول، وقد تجلى ذلك من خلال كتاباته التي جُمعت معظمها تحت عنوان واحد وهي"مشكلات الحضارة".

المبحث الأول: مرجعيته الفكرية

يمر التكوين الفكري للإنسان بمراحل عديدة، تتخللها عوامل تسهم بصفة غير مباشرة في التوجيه والتكوين الفكري للإنسان، ولا سيما إذا توافرت لدى الشخص الاستعدادات الفطرية التي تتيح له السير في طريق بناء الفكر، وهو الشيء الذي حمله **مالك بن نبي** في نفسه ومن بين أهم العوامل التي ساهمت بطريقة غير مباشرة في تكوينه الفكري مايلي:

1- الأسرة: كان لأسرة مالك أثرا ملموسا في تحديد اتجاهه الفكري الذي عرف به، فقد كانت أسرة محافظة تتسم بعاطفة إسلامية واعية، وكان تأثير والديه من جانبين.[1]

- **الجانب الإيماني:** حيث نراه يقول في إهداء كتابه(الظاهرة القرآنية):<<إلى روح أمي، إلى أبي؛ الوالدين اللذين قدما لي في المهد أثمن الهدايا؛ هدية الإيمان>>[2]، فقد حرصا على توجيهه الوجهة المستقيمة، من طرف الأم التي كانت تتسم بالحكمة في التربية والتوجيه والأب الذي قد فرض هيبته واحترامه في المنزل.

- **جانب التوجيه العلمي:** فقد حرصا على تعليم ابنهما، فألحقاه بالمكتب القرآني، ثم بالمدرسة الوحيدة في البلد حينها أتيحت له الفرصة، وحرصا فيها بعد على أن يدفعا به توجيهيا للعلم، فأرسلاه إلى قسنطينة ومن بعد إلى فرنسا.

وإلى جانب تأثير والديه كانت جدته لأمه، تصب تأثيرها في نفسه من خلال القصص التي كانت تحكيها للأطفال ومنهم مالك.[3]

<< والتي كان محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب، وعمل السوء، وما يتبعه من عقاب، وكانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكوينيي دون أن أدري>>،[4]وربما كان بداية موقفه العدائي من الاستعمار نتيجة تأثره بهذه الحكايات.

2- المطالعة: كان مالك منذ صغره مولعا وشغوفا بالقراءة ومطالعة الصحف، أكسبته ثقافة واسعة كان لها تأثيرا بارزا في تكوينه الفكري، ولم تكن قراءة بن نبي محددة الاتجاه فقد

1- عبد الله بن حمد العويسي: مرجع سابق، ص 174.

2- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، دار الفكر بدمشق، ط4، 1420هـ، 2000م، ص8.

3- عبد الله بن حمد العويسي: مرجع سابق، ص 174.

4- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، ط2، 2004، ص19.

كان يقرأ ما يقع بين يديه، فقرأ<<معظم الكتب الشهيرة في الأدب والفكر الإنساني من مؤلفات **بورجي، لوتي، فارير** لامرتين...في الأدب، **جون ديوي** و**كونداياك** في الفكر والفلسفة>>[1].

هذا الأخير الذي كان سببا في تغير اتجاهه إلى الاهتمام بالفلسفة والعلوم الإنسانية، بدلا من الاهتمام بالأدب فهو يقول عن أثره<< ليست أدري أي كسب علمي حصلت عليه مع **(كونديلا Condilla)**، إنما هذا الكتاب وضع عقلي وأفكاري وفضولي أو بالأحرى ثقافتي باتجاه محدد>>[2].

وطالع **مالك بن نبي** "رسالة التوحيد" للإمام **(محمد عبده)**،(*) وكاتب الإفلاس المعنوية للسياسة الغريبة في الشرق**(لأحمد رضا)**(**)، هذان الكتابان أعدهما من بني الينابيع البعيدة المحددة لاتجاهه الفكري.

وقرأ في التاريخ الإسلامي "مرجع الذهب ومعان الجوهر" **(للمؤرخ المسعودي)**، و"المقدمة" **(للعلامة عبد الرحمن بن خلدون)** (1332هـ-406م)، وصارت مرجعا له في معظم كتبه، وأصبح **(ابن خلدون)** أستاذه وملهمه الأكبر.[3]

لكن يتبين لنا من خلال كتابه **مالك بن نبي** "مذكرات شاهد للقرن" أن **(حمودة بن الساعي)** من أكبر المؤثرين في تفكيره.

أما المخططات الاستعمارية، فقد تعرف عليها من خلال كتاب **(أوجيه يونج)**(*)؛(الإسلام بين الحوت والدب) ويقول عن تأثيره:

1- مولود عويمر: مالك بن نبي رجل الحضارة، مسيرته وعطائه الفكري، دار الأمل، ص12.

2- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص114.

(*)- محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمان، مفتي الديار المصرية ولد في شنرا من قرى الغربية بمصر عام 1866هـ الموافق 1849م، عمل في التعليم وكتب في الصحف، شارك في مناصرة عرابي فسجن ونفي إلى الشام وسافر إلى باريس وأصدر مع جمال(جريدة العروة الوثقى) ثم عاد إلى مصر، وتولى القضاء بالإسكندرية، ودفن بالقاهرة عام 1424هـ الموافق لـ1905م، من آثاره (رسالة التوحيد)، انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص141.

(**)- أحمد رضابك، كاتب تركي كان يصدر جريدة(مشورت) بباريس، ثم رحل إلى تركيا وتولى رئاسة مجلس النواب، ثم مجلس الأعيان في الدولة العثمانية، أتاحت له إقامته بباريس اللقاء بشخصيات إسلامية، مما أكسبه خبرة في مجال السياسة الخارجية، انظر: أحمد رضا، الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق.

3- مالك بن نبي: رجل الحضارة "مسيرته وعطاؤه الفكري" دار الأمل، ص12.

<< ويقيني مع ذلك أن أثره أجج حُمى العداء للاستعمار في روح جبلي>>[1].

وهذا الأثر واضح من خلال موقفه، اتجاه الاستعمار والمجسد في مؤلفاته.

لم يكتف **بن نبي** بقراءة الكتب فحسب بل كان شغوفا أيضا بمطالعة الصحف وخاصة السياسة منها مثل: صحيفة الشؤون العامة لقسنطينة، والإنسانية والراية والعصر الجديد والكفاح الاجتماعي وكذا مجلتي الإقدام والجمهوري، اللذان تصدران كل أسبوع.

وقد كان لهذه الصحف والمجالات الأثر العظيم في التوجيه الفكري له حيث يقول بن نبي عن جريدة الإقدام:<< فـ(الإقدام) وضعت في فكري الحدود السياسية الدقيقة>>[2].

حيث كانت مجلة الإقدام التي يصدرها **الأمير خالد:** مملؤءة بمعلومات مهمة، مثل تلك الإحصائيات التي تبرز نسبته الغير متعلمين من الأطفال، وأيضا مساحات الأراضي التي كان يشغلها المعمرين.

أما عن تأثيره جريدة "الإنسانية" وهي المفصلة لديه، يقول عنها:<<كانت الصحيفة الشيوعية (الإنسانية) الصحيفة التي تضامن وتحقق من ضمئي الوطني أكثر من كل الصحف، فمقالات **(كاشان)** و**(فايان كوتربيه)** كانت تنفتح أو داجي بغضبات مضرية، أو تريق ألوانا مخففة من العزاء والسلوان لقلبي>>[3].

وبهذا يمكن القول أن هذه الصحيفة تمثل له المهدئ الوحي من خلال ما ينشر من أخبار، أما صحيفة "العصر الجديد فيقول فيها:<< كتب ما زال أمتص منها ذلك الغذاء الروحي الذي كان يروي تعطشي لاستعلام أمور العالم الإسلامي، ذلك أن الصحافة الوطنية لتلك الفترة لم تكن تتحدث بعد عن الحزب، وعن المناضل>>[4].

تلك هي الصحف والمجالات التي كان مالك يقرأها ويتابع من خلالها الأحداث، وما يطرح حولها من أفكار وآراء.

1- عبد الله بن حمد العويسي: مالك بن نبي حياته وفكرته، مرجع سابق، ص208.

2- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص94.

3- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي-حياته وفكره، مصدر سابق، ص202.

4- المرجع نفسه، ص204.

3- حمودة الساعي: إن من بن المؤثرات المحددة لاتجاهه الفكري ما تلقاه من صديقه **حمودة بن الساعي** والذي كان طالبا من ولاية باتنة رفقه زميل آخر يدعى "فضلى"، فقد كان **بن الساعي** يكبر **مالك** في السن، إلا أنه من خلال علاقته به انطبعت في نفسه روح التفسير والمناقشات، التي كانت تدور بين **بن الساعي** و**مالك** ورفيقهم "فضلى" بين غابات الصنوبر، فكانت تلك المناقشات تذهل مالك في كثير من الأحيان، مما تحتويه من طرف منهجيه، وتحليلية لحالة المجتمع الإسلام في ذلك الوقت[1]، وقد اعترف بن نبي بهذا التأثير في مواضع كثيرة، فيقول عن ذلك:<< أدين **لحمودة بن الساعي** باتجاهي كاتبا متخصص في شؤون العالم الإسلامي(...) وإن تحويلي عن دراستي (...) قد زاد بصحبته منذ أن أصبحت مهتما بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ، أكثر من اهتمامي بمواد مدرسة السلكي>>[2]، ومن خلال هذا الاعتراف **لابن نبي** يكن القول بأن **حمود بن الساعي** له الفضل في إدخال بن نبي إلى عالم الفكر الإسلامي وقد كبر هذا التأثير أكثر وأخذ بعداً أعمق وأبعد عند لقاء **مالك بن نبي** به في باريس، بعد اجتماع الطلبة (الوحدوبين) بمركز **(الورد زولان)** فدار نقاش وحوار بينهما حول أبرز الأحداث والمواضيع التي تشغل تفكيرها آن ذاك حيث يقول في ذلك:<< وفي الطريق عرض علي أفكاره وعرضت عليه أفكاري في الأمور التي كانت موضوع الحديث في الأوساط الطلابية، فوجدت أننا على وتيرة واحدة في أهلها(...) كنا من مشروب واحد فيما يخص دور الإسلام في النهوض بالشعوب الإسلامية ودور الطالب في هذه النهضة>>[3]، وقد تلت هذه المناقشة مناقشات أخرى متنوعة، لكن هذه المرة كانت في شكل حلقة تعقد مساء كل جمعة في منزل **مالك** بن نبي حيث يحضر **(حمودة بن الساعي)** وأخوه **(صالح)** الذي التحق بدوره بباريس، ولم يكن موضوع المناقشة محدّداً من قبل ل كانت هذه المناقشات كانت كلها تدور حول محور الإسلام. [4]

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، القسم الأول (الطفل)، مصدر سابق، ص67.

2- مولود عويمر: مالك بن نبي-رجل الحضارة (مسيرته وعطاؤه الفكري)، مرجع سابق، 204.

3- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، القسم الثاني (الطالب)، مصدر سابق، ص- ص234-235.

4- المرجع نفسه، ص 251

وقد أشار **مالك** إلى بعض الموضوعات التي نوقشت في تلك الحلقة، ومنها في المجال الفكري: الموضوعات التي تثار حول الإسلام في معهد الدراسات الإسلامية في (السربون)، ومناقشة القضية الإسلامية من وجهتيها الإيديولوجية والاجتماعية ومنهج **الإمام الغزالي** في التجديد، وأفكار **زكي مبارك** حول ذلك المنهج، وكتاب **(مايسون)**(*) عن الحالج(*)، و**(نيتشيه)**، و**(سينوزا)**[1]، هذا عن الجانب الفكري فحسب، أما عن الجانب الاجتماعي والسياسي فقد سبق الإشارة إليه، وقد استمر هذا التكوين الفكري له عبر هذه الحلقة إلى أن غادر **(بن الساعي)** باريس.

- **معايشة المجتمع الفرنسي:** قضي مالك في فرنسا فترة زمنية مكنته من التعرف على المجتمع الغربي، ويرجع مالك الفضل في ذلك إلى زوجته **خديجة** لأنه يرى أن زواجه منها أتاح له رؤية التطبيق العلمي لما كان يدرسه من أفكار في البيئة الجديدة، حيث يقول في ذلك:<< ومضت زوجتي تتفنن من أجل توفير جميع وسائل الراحة لي داخل البيت حتى من الناحية الفكرية، إذ كانت تأتي على الأشياء التي أشاهدها في عالمي الجديد، بشهادة من يعرفها في داخلها، لقد كنت أرى في تلك الأشياء القيم الحضارية، التي أصبحت الشغل الشاغل بالنسبة لي من الناحية النظرية؛ لكن زوجتي ألبستها لباسها الإنساني وصيرتها مملوسة أمامي>>[2]، وقد أقر مالك بالاستفادة من هذه المدرسة إي مدرسة المعايشة كما سماها قائلا:<< وكم استفدت من هذه المدرسة المعاشية، إذ يصير التلميذ أستاذ أحيانا والأستاذ تلميذاً أحيانا أخرى>>[3]، وبذلك تكون **خديجة** سببا سخرته الأقدار لمالك ليكشف بفضلها على الجوانب الخفية للحياة الفرنسية والتي لا تبصرها العين، والتي كان لها التأثير في حياته.

- **التيار الإصلاحي:** تأثر في توجيهه الفكري بأستاذته من علماء التيار الإصلاحي، وخاصة أستاذ التوحيد والسيرة "**الشيخ المولودين الموهوب**" و**الشيخ بن العابد** الذي كان له مذكرا

(*)- لويس مايسون(18831962)(Lous Massyon): مستشرق فرنسي أهتم بدراسة التصوف، من أهم كتبه "الحلاج الصوفي سهيد الإسلامي".

(**)- الحلاج: هو الحسن بن منصور متصوف متكلم، ولد بفارس سنة 244هـ- 858م، اختلف في أمره، فهناك من 1- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، مرجع سابق، ص- ص241-242.

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، القسم الثاني (الطالب)، مصدر سابق، ص240.

2- المرجع نفسه، ص- ص240-241.

قويا يعود برحمه إلى الطرق الصحيح منقذاً إياه من إغواء الفكر المادي[1] وكذلك جهود **الشيخ عبد القادر المجاري** والشيخ **بن مهنا** اللذان حملا(...) في قسنطينة لواء الحركة.[2] وقد تعرف مالك إثر هذا التيار الفكري الإصلاحي، ببعض تلاميذ الشيخ : **عبد الحميد بن باديس** حيث كان يتناقش معهم أمور عديدة، ولكن القاسم المشترك الذي كان يجمعهم هو روح الإصلاح والدعوة إلى بث الوعي داخل المجتمع العربي الإسلامي حيث يقول عنهم:

<< لقد شعرت بأني وهؤلاء في اتجاه فكري واحد، وهذا ما لم أكن أشعر به مع من كنت أعاشرهم من طلبة المدارس الثانوية المسلمين، كان اسم الشيخ قد بدأ يتردّد في المدينة، وتعرفي عل بعض تلاميذه جعلني أدرك أننا تنتمي إل عائلة فكرية واحدة ستسمي فيما في الجزائر (حركة الإصلاح).[3]

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، القسم الثاني (الطالب)، مصدر سابق، ص65.

2- المصدر نفسه، ص65.

3- المصدر نفسه، ص- ص73-74.

المبحث الثاني: مؤلفات مالك بن نبي

لقد كان **مالك بن نبي** صاحب قضية وفكر، اتخذ من حالة بلاده نموذجا للعديد من الدول الإسلامية المستعمرة التي نهش التخلف كيانها، فقام بدراسة تحليلية معمقة ممنهجة لواقعها أثمرت أكثر من 26 مؤلف يندرج معظمها تحت عنوان شامل هو (مشكلات الحضارة) حول فيها تشخيص المشكلات التي تعيق تقدم الشعوب عامة العربية الإسلامية منها خاصة، وعلى هذا الأساس يمكن تصنيفها حسب الأبعاد إلى :

أ- **مؤلفات تعالج أفكاراً وقضايا ذات بعد عالمي:** وهي تمثل أساس مشروعه الحضاري الذي يعتبر إصلاحيا نهوضا بالدرجة الأولى بالنسبة لجميع الشعوب التي آمنت بالتخلف لها نذكر منها:[1]

- **شروط النهضة:**

ألفه **مالك بن نبي** بالفرنسية عام 1948م، ونشر بالجزائر وقدم له: **عبد العزيز الخالدي** ترجمة: **عمر مسقاوي**، و**عبد الصبور شاهين**، وهو كتاب ينقسم إلى بابين، الحاضر والمستقبل، تحدث في الباب الأول عن: دورة الأبطال، دورة الفكرة والسياسة، دورة الوثنية...، دورة الوثنية...وفي الباب الثاني (المستقبل) والذي احتل الجزء الأكبر من الكتاب[2]، حيث لخص فيه أساس رؤيته لمشكلة النهضة، انطلاقا من الواقع الاستعماري الذي أنتجته الحضارة الغربية، وهي تتوغل بقدر ما تستدرجها حفرة القابلية للاستعمار، وقد شكلتها الفجوة التي حدثت من واقع مجتمع ما بعد الموحدين بعد انسحاب الحضارة الإسلامية وغروبها، ومطلع شمس أوروبا المسيحية في القرن 14م[3]، حيث يقي العالم الإسلامي خارج التاريخ مستسلما لأمراضه، ثم جاء العصر الحديث وبدأ ما يسمى (بالنهضة)، ولكن هذه النهضة ينظر لها من زاويتين: فهي من ناحية الجهود المبذولة طوال نصف قرن أو من ناحية: النتيجة الضعيفة التي لا تتناسب مع كمية هذه الجهود.[4]

---

1 لويزة لعميري: نظرية الثقافة عند مالك بن نبي-دراسة تحليلية، (مذكرة لنيل شهادة ماجستير تحت إشراف الأستاذ خالد عقون)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010، ص- ص17-8.

2- العبدة محمد: مالك بن نبي، مفكرا اجتماعيا ورائدا إصلاحيا، 1905-1973، دار القلم، دمشق، ط1، 2006، ص114-118.

3- مسقاوي: المصدر السابق، ج1، ص442.

4- العبدة محمد : المرجع السابق، ص118.

- **فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ:**

كتاب من تأليف **مالك بن نبي**، ترجمة **عبد الصبور شاهين**، له ثلاث طبعات كانت الأخيرة منها سنة 2001، عن دار الفكر، بيروت، ويتضمن266 صفحة، وقد تناول هذا الكتاب كل الشروط ثورة العالم الثالث، إلا شرطا واحداً، وهو شرط إطلاق الشرارة الفكرية الضرورية لإضرامها، وقد اجتمعت هذه الشروط من خلال مؤتمر باندونغ 1955م، وبعده مؤتمر القاهرة 1957م[1]، وهنا نشير إلى أن كتاب (فكرة الإفريقية الآسيوية) يرتبط بمنطلقات فكر **مالك بن نبي** الأساسية للمصادر الأربعة: الظاهرة، لبيك، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، لكن صدور هذا الكتاب في القاهرة في ظل مؤتمر باندونغ أعطى **بن نبي** بعدا آخر، حيث لم يجد له في المحيط الفكري والاجتماعي رواجا، فجعل هذه النخبة أساسا في دراسة الوسط الاجتماعي رواجا، فجعل هذه النخبة أساسا في دراسة الوسط الاجتماعي في ظل التخلف والقابلية للاستعمار، فوضع لكتابه دراسة في القاهرة في: 25 ماي 1959 تحت عنوان: (Le livre et le milieu humain).[2]

- **مشكلة الثقافة:**

تأليف **مالك ن نبي**، ترجمة **عبد الصبور شاهين**، وقد صدرت أربعة طبعات آخرها سنة 1984، أما الطبعة الأولى فقد صدرت بالقاهرة قبل ذلك باثنتي عشر سنة، وقد كانت الأفكار التي تعرض لها المؤلف آنذاك غريبة في الوسط المثقف العربي، إذ لم تكن قد سبقت دراسة في هذا الموضوع من دراس عربي، بينما امتازت الطبعة الرابعة عن الأولى بإضافة فصل جديد (الأزمة الثقافية) بقصد وضع بعض معالم الإنذار على بعض تلك المطبعات، التي تجعل سير المجتمع مستحيلا، والكتاب عموما عبارة عن تحليل نفسي للثقافة في البلاد العربية الإسلامية.[3]

1- مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 2001، ص14.

2 مسقاوي عمر كامل، مصدر سابق، ج1، ص559.

3- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص- ص11-12.

- **تأملات:**

صدر قسم منه عام 1960م تحت عنوان (حديث في البناء الجديد)، وقسم آخر صدر عام 1961 تحت عنوان (تأملات في المجتمع العربي)، ثم تم الجمع بين الإصدارين تحت تسمية (تأملات) التي يدخل في نطاقها المجتمع العربي كما يدخل العالم الإسلامي والعالم المتخلف في عمومه، وفي هذا الكتاب يطرح مالك بن نبي القواعد الأساسية لفعالية الإرادة الإنسانية وقوتها في صنع الحضارة، إذن فهو حصيلة ما أحاط بالمؤلف من أحداث في الخمسينيات وبداية الستينيات، حيث يمثل هذا الكتاب حلقة جديدة في سلسلة (مشكلات الحضارة)، الحلقة التي تتضمن بالإضافة إلى بعض ضروريات البناء في الداخل ضروريات ناتجة عن التطورات الخاصة التي حدثت في حياة الشعوب تحت تأثير عوامل مختلفة مثل الاستعمار.[1]

- **ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية): Naissance dune socété**

يحتوي هذا الكتاب على جزئين، الجزء الأول يشمل المفاهيم النظرية التي ترجع إليها العناصر التاريخية (بميلاد مجتمع) تحت عنوان فرعي هو:(شبكة العلاقات الاجتماعية)، فتم إنشاء الإطار النظري لميلاد مجتمع، حيث تم تحديد وتفسير مفهوم المصطلحات المستخدمة وخاصة مفهوم لفظة مجتمع ذاتها، حين يولد وحين ينهض والشروط الأولية للتربية الاجتماعية قبل أن يعالج من زاويته التاريخية في الجزء الثاني[2]، وقد قسم **مالك بن نبي** كتابه إلى مجموعة من المباحث، فجاء المبحث الأول بعنوان "أولويات"، حيث تطرق فيه إلى تنوع الظواهر الاجتماعية التي تنطق عليها لفظة مجتمع، فذكر أولا الفرق الجوهري لبين المجتمع الطبيعي (البدائي) وبين المجتمع التاريخي الذي ولد في ظروف معينة لكنه عدل من صفاته طبقا لقانون تطوره، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان (النوع والمجتمع) وهنا يدعوا المؤلف إلى تحديد المجتمع وخصائصه في نطاق الزمن، أما المبحث الذي يليه فتحدث عن الآراء المختلفة في تفسير الحركة التاريخية فعرض المؤلف النظرة الغربية للتاريخ **كماركس، هيجل، توينبي** ثم تطرق في المباحث المتبقية إلى مجموعة من المفاهيم نذكر منها:(شبكة

1- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، دط، بيروت، ص- ص09-10.

2- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبدالصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 1986، ص08.

العلاقات الاجتماعية والاستعمار)، (شبكة العلاقات والجغرافيا)، (المجتمع والقيمة الخلقية) ليختم كتابة بالمبحث الأخير تحت عنوان الشروط (الأولية للتربية الاجتماعية). والذي ركز فيه على مشكلة الثقافة.[1]

- **من أجل التغيير:**

يتناول هذا الكتاب مجموعة مقالات حول التغيير في العالم الإسلامي، وذلك في ثلاث فصول حيث تناول في الفصل الأول البناء الاجتماعي ذلك من خلال الندوة التي عقدت في نادي الصنوبر وتحدث عن الأفكار والبناء الاجتماعي والعلاقة بين الأفكار والأحداث الاجتماعية والسياسية، يقول **بن نبي:**" إن مجتمعنا هو كبقية المجتمعات الاشتراكية الأخرى، يشكو من الانفصال بين الفكر والسياسة، وهذا يمنع الحوار المثمر والإصلاح عبر المناقشات الحية"، ثم يتحدث في الفصل الثاني عن البناء الثقافي ومشكلة الثقافة في العالم الثالث وضرورة التفريق بين الثقافة والعلم باعتبارهما ليسا مترادفين فالثقافة تولد العلم دائما، والعلم لا يولد الثقافة دوما، ولا يمكن استبدال أحد هذين المفهومين بالآخر، لذا فإن هذا التمييز أساسي عند وضع برنامج يهدف إلى رفع ثقافة بلد ما إلى أعلى مستوى من مستويات الحضارة.[2]

ثم اختتم مالك بن نبي كتابه بوضع مقارنة بين المستعمر والمستعمر مع ذكر الأسباب الصغرى والمسببات الكبرى لهذا التمييز.

- **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة:**

يعتبر هذا الكتاب أول محاولة للمؤلف في كتابة اللغة العربية مباشرة، وقد يتحدث عن الصراع الفكري عامة وما يجري في حلبة الصراع داخل البلاد المستعمرة، ويضع ويبرز مظاهر متعددة للصراع الفكري وحياة الأفكار وقيمتها الرياضية، وقد تطرق المؤلف إلى هذا

1- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص- ص09-10-20.

2- مالك بن نبي: من أجل التغيير، تر: عمر مسقاوي وبسام بركة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995، ص، ص 54،106.

الموضوع من زاوية حددتها له تجربته الخاصة، باعتبار أن الجزائر كانت في إطار هذا الصراع.[1]

- **في مهب المعركة:**

هذا الكتاب هو مجموعة من المقالات تحت عنوان (في مهب المعركة)، تأليف **مالك بن نبي**، دار الفكر، عدد الصفحات 176، وهذه المقالات عبارة عن إرهاصات للثورة الجزائرية وتسويغها لدوافعهما، وقد جمعت تحت هذا الكتاب بعض المقالات المترجمة، التي كتبت فعلا في ظروف المعركة الواقعية بما يحيطها أحيانا من غموض، وبعض المواقف المشبوهة والأفكار التي لا يريد الاستعمار أن يرفع إلى مستواها العام، إضافة إلى بعض التوجيهات لتكون بذلك مادة الصراع الفكري الواقع الذي يريد الاستعمار إن يسدل عليه ستار من الظلام.[2]

- **بين الرشاد والتيه:**

هو كتاب ضم مقلات كتبها الأستاذ مالك بن نبي بالفرنسية، ونشر معظمها في جريدة (الثورة الإفريقية)، وقد جمعها عام 1972، وترجمها إلى العربية ثم بوبها وعدد فصولها ثم اختتمها بكلمة عن الصراع الفكري، وهذه المقلات تعكس أحداث الستينات في الجزائر كما في العالم العربي والإسلامي، وهي أيضا تطرح مشاكل العالم الثالث بعد الاستقلال السياسي فتسلط عليها أضواء كاشفة تبرز أبعادها وتنير طريق الكفاح، من أجل القضاء على هذا المشاكل.[3]

القضايا الكبرى:

تناول هذا الكتاب بعض القضايا المرتبطة بحياة المسلم في ظل الحضارة الغربية خاصة الفرد الجزائري الذي يولد ضمن مجموعة من الشروط الحتمية فلم يكن ذلك سوى مجرد فرد، أي كائن معزول عن جماعة وضعت على هامش التاريخ من جراء القابلية للاستعمار، كما

1- مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1984، ص- ص08-09.

2- مالك بن نبي: في مهب المعركة إرهاصات الثورة، دار الفكر، دمشق، 198، ص13.

3- مالك بن نبي: مقدمة كتاب بين الرشاد والتيه، دار الفكر، ط2، 1988، 07.

أصبح مفكك الأوصال بفعل الاستعمار حتى أصبح يشبه الفرد الذي تبقى على قيد الحياة بعد نوع بشري منقرض عقب كارثة جيولوجية.[1]

ب مؤلفات تعالج قضايا ذات بعد إسلامي وعربي: وهي التي ركز فيها أكثر على قضايا وطنه على غرار البلدان العربية والإسلامية الأخرى، ورغم ذلك فهي لا تخرج عن إطار النوع الأول المتعلق بمشكلات الحضارة.[2]

- **الظاهرة القرآنية:**

هو أول كتاب ألفه بن نبي تحت العنوان الرئيسي مشكلات الحضارة، ورغم ذلك فإن هذا الكتاب لم يرى النور في صوته الكاملة، فالواقع أنه قد تم إعادة تأليف أصوله التي أحرقت في ظروف خاصة، وهو كما هو الآن حسب قول مالك بن نبي لا يكفي في علاج فكرتنا الأولى عن المشكلة القرآنية، لأن الموضوع يتطلب عملا شاقا طويل الأنفاس، كما يتطلب أيضا وجود العديد من المصادر.

والمراجع ذات الأهمية القصوى، لم يكن بوسعنا الصول عليها في المحاولة الثانية، ولذلك تم جمع العناصر التي بقيت من الأصل مكتوبة في القصاصات أو مسجلة في الذاكرة لتقديم جوهر الموضوع، وهو الاهتمام بتحقيق منهج تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية لتحقيق هدف مزدوج وهو أن يتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناضج في الدين وأن يقترح إصلاحا مناسبا للمنهج القديم في تفسير القرآن.[3]

لقد كان بن نبي عبر كتابه (الظاهرة القرآنية) يتطلع إلى منهج فكري جديد في تناول التراث الإسلامي، فكان كتابه بداية الطريق لإلى سبيل تأمل نقدي للدراسات الإستشراقية، وأثرها في تكوين منطلقات رؤيتنا العقائدية على أسس مادية غريبة تربط ظاهرة الوحي بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن هنا انطلق من نقطة ارتكاز أساسية هي القرآن

1- مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط1، 1991، ص31.

2- لعميري: مرجع سابق، ص19.

3- مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، ص9.

الكريم، ورؤية الكون عبره، في إطار من عالمية الإيمان بالعالم الغيبي، خلافا لمنطلقات العصر الديكارتي.[1]

مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:

شرع **مالك بن نبي** في تأليف هذا الكتاب منذ 1960 عندما كان في القاهرة وقد تطلب إتمام هذا الكتاب وقتا طويلا بعد تأجيله عام بعد عام نتيجة لمجموعة من الظروف المتعلقة بالصراع الفكري والتي اضطرت المؤلف إلى تغيير اتجاهه وافية لمشكلة الأفكار ويلقي الضوء على معالمها وعلى تركيبها الخاص ويعطي فكرة عن أهمية هذا المشكلة ليس فقط للمجتمع الإسلامي وإنما في أي مجتمع إنساني.[2]

- **المسلم في عالم الاقتصاد:**

تضمن هذا الكتاب رؤية لمكانة المسلم في عالم الاقتصاد خاصة أنه كان تحت الصدمة الاستعمارية فلم يتعدى بذلك الاقتصاد عنده عن مجرد فن يسخر لكل عمل يريده الاستعمار كإنتاج المطاط في الفيتنام والأرز في بورما والتوابل في اندونيسيا لذلك فإن هذه الأعمال لم تكن لها صلة موضوعية بعالم الاقتصاد، لذلك فإن **مالك بن نبي** حاول التعرف على تجربة المسلم في هذا المجال خاصة بعد تخطية لمرحلة الاستعمار، وبهذا كانت هذه الدراسة كمحاولة لتصفية موضوع الاقتصاد في الأذهان من الجوانب الإضافية التي تطرأ عليه.[3]

- **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين:**

هو كتيب صغير يتكوم من 25 صفحة يتضمن نص محاضرتين لقاهما بن نبي في دمشق، كانت الأولى في 28 من مارس عام 1972 بعنوان (دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين) والثانية في 22 ماي من السنة نفسها بعنوان (رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين)[4]، وقد حض في القرن العشرين حسب قول المؤلف لطبيعته التي تميز بها عن القرون الأخرى كلها، لأنه القرن الذي تحققت فيه تغيرات جذرية، بدت وكأنها

1- مسقاوي عمر كامل: مصدر سابق، ج1، ص355.

2- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: محمد عبد العظيم علي، منشوراتANEP المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط4، 1984، ص- ص09-10.

3- مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط3، 1987، ص- ص10-11.

4- لعميري: مرجع سابق، ص25.

ترسم للإنسانية نقطة ألا رجوع على محور الزمان، إضافة إلى أنه القرن الذي سجل أحداث كبرى سواء في مجال العالم أو في مجال الأخلاق والدين.[1]

- **وجهة العالم الإسلامي:**

قام بترجمة **عبد الصبور شاهين**، نشر بدار الفكر 1954، وعدد صفحاته 173، وهذا الكتاب صدر منه القسم الأول عام 1960 تحت عنوان (حديث في البناء الجديد) وقسمه الآخر صدر عام 1961 تحت عنوان (تأملات في المجتمع العربي)[2]، وقد أشار **مالك بن نبي** في مذكراته إلى أربع مقالات تشكل المدخل لفهم كتاب (وجهة العالم الإسلامي) ونقاطه الأساسية في جزئين الأول في الثاني، والتي نشرها في جريدة الجمهورية للجزائرية عام 1951م،[3] وعند تفحص كتاب وجهة العالم الإسلامي نلاحظ ما يقارب 30 إشارة إلى القضايا الاجتماعية والسوسيولوجية وردت تحت ألفاظ متنوعة: (الرسول عالم الاجتماع الكبير)، (الشروط الاجتماعية)،(انفصال في شبكة العلاقات الاجتماعية)، وهذا نجده يطرح الكثير من المسائل من منظار المصلحة الاجتماعية ويبتعد عن القراءات الإيديولوجية.[4]

- **فكرة كومنويلث إسلامي:**

يرى مالك بن نبي في هذا الكتاب، أن الكومنولث الإسلامي ضرورة تاريخية تدعو الإسلامية إلى العودة إلى حالة التاريخ ولكن في صورة حضارة لا في صورة إمبراطورية ولا يكون مجرد تنظيم سياسي اقتصادي، نظرا لصورة جديدة لتوازن القصوى في العالم، بل يجب

1- مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، د.ط، 2005، ص-ص11-12.

2- العقبي حسن موسى محمد : مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة: مذكرة لنيل شهادة ماجستر تحت اشراف الدكتور صالح الرقب، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية اصول الدين، الجامعة الاسلامية، غزة، 2005، ص38.

3- مسقاوي: مصدر سابق، ج1، ص491.

4- رشيد ميموني: إعادة بعث المروع الفكري والحضاري لمالك بن نبي، الملتقى الدولي: مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى شروط الميلاد الجديد، في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، تلمسان، الجزائر،(12-13-14 ديسمبر 2011)، ص06.

أن يكون مع ذلك نظاما أخلاقيا وإشعاعا روحيا لمواجهة الأزمة الاجتماعية، داخل العالم الإسلامي.[1]

إذن يمكن القول أن هذا الكتاب وضع فيه مالك بن نبي وسائل تحقيق التكامل بين الأقطار العربية.[2]

- **آفاق جزائرية:**

الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات ألقاها **مالك بن نبي** تلخصت في ثلاث مشكلات وهي:(مشكلة الحضارة) وهي محاضرة ألقيت بالغة الفرنسية في الجزائر العاصمة بتاريخ 09جانفي 196، إضافة إلى (مشكلة الثقافة) وهي محاضرة ألقيت باللغة الفرنسية في الجزائر بتاريخ 15 جانفي 1964، وباللغة العربية في مدينة قسنطينة بتاريخ 30جانفي وأخيرا (مشكلة القومية).[3]

- **مجالس دمشق:**

يذكر مالك بن نبي أن هذا الكتاب ابن المصادفة وذلك بعد ذهابه إلى الحج مع ابنته رحمة ووالدتها وفي طريق العودة قرر السفر إلى دمشق، وحسب قوله فالسبب كان رغبته في أن تطلع ابنته على بعض معالم الحضارة بدمشق، وفي دمشق قضي مالك بن نبي ثلاثة أشهر كاملة في حوار مستمر مع شبابها المتعطش إلى الأفكار.

فهذا الكتاب زبدة تلك المجالس وهو من ثم، منحة شباب دمشق المسلم إلى الفكر الإسلامي لأن هؤلاء الشبان هم اللذين سجلوها على مسجلاتهم، ثم نقلوها كتابة ثم بيضوها وسيروها هذا الكتاب.[4]

أما بالنسبة للإنتاج الأدبي فكان **لمالك بن نبي** تجربتان هما:

1- العقبي حسن موسى محمد: مرجع سابق، ص38.

2- لونيسي: مرجع سابق، ص29.

3- مالك بن نبي: آفاق جزائرية للحضارة، للثقافة، للمفهومية، تر: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ط، 1991، ص- ص23-93.

4- مالك بن نبي: مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، ط1، 2005، ص07.

❖ **رواية لبيك حج الفقراء:**

هذا الكتاب عبارة عن رواية كتبها مالك بن نبي عام 1947، أي بعد عام واحد من إصدار كتاب الظاهرة القرآنية عام 1946 باللغة الفرنسية، وقدر **الدكتور زيدان خوليف** وهو من الشباب الجزائري المهتم بفكر مالك بن نبي إلى ترجمة القصة إلى العربية، ويذكر **مالك بن نبي** في كتابه لبيك أن القصة مترجلة لحج بطلي القصة، ويذكر أنه كتبها في غرفة فندق بين سفرتين متقاربتين جدا لذلك فهي تحتوي على بعض الأخطاء التقنية كونها كتبت في عجالة إضافة إلى أن المؤلف لم يكن لديه متسع من الوقت ليتعرف بصورة كافية على الشخصيتين اللتين قامت حولهما القصة وهما الفحام والطفل اللذان عاشا في مدينة عنابة، أما الجانب الخيالي الوحيد في الرواية فتمثل في الصلة التي وضحها المؤلف بين الأشخاص في المكان والزمان.[1]

- **مذكرات شاهد للقرن:**

الجزء الأول منها صدر عام 1956، أما الجزء الثاني فصدر عام 1970، وهو عبارة عن ترجمة لشخصية مالك بن نبي ومحطات رئيسية من حياته،[2] ابتداء من عام 1905، حيث أعطى لطفولته في العشرينيات تفتح تأسيس، ثم لشبابه كطالب في باريس في الثلاثينيات حصانة رؤية جامعة، فكانت في الأربعينيات (الظاهرة القرآنية لبيك)، ثم (وجهة العالم الإسلامي)[3]، إضافة إلى فكرة (الإفريقية الآسيوية)، وهكذا نقل إلينا حياته التفصيلية وأفكاره ورؤيته لمسيرة العالم، فكان تقويمه لمرحلة الطفل والطالب، منذ ولادته عام 1905 إلى القادم.

- **العفن:**

كانت بداية كتابة مذكرات العفن في شهر مارس سنة 1951، فيكون هذا العمل بذلك أول ما كتبه بن نبي عن سيرته الذاتية من حيث الفترة الزمنية قبل مذكراته الطالب والكاتب، وتعد مذكرات العفن آخر ما نشر له بالعربية والفرنسية، وقد تأخرت عن الصدور لأكثر من

1- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، تر: زيدان خوليف، دار الفكر، دمشق، ط1، 2009، ص24.

2- لويزة لعميري: نظرية الثقافة عند مالك بن نبي، دراسة تحليلية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير تحت اشراف الاستاذ خالد عيقون، قسم اللغة والادب العربي، كلية الاداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014، ص19.

3- مسقاوي عمر كامل : مصدر سابق، ج1، ص65.

نصف قرن، وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أن مالك بن نبي كتب المسألة بمداد من الألم وهو في جوف الحدث.

- **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث:**

نشرته مكتبة عمار بالقاهرة عام 1970، وهو من القطع الصغيرة، وعدد صفحاتها 62 صفحة، ويرى فيه **مالك بن نبي** أن علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الفكر، حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي.[1]

إضافة إلى مل تم ذكره من مؤلفات، هناك مجموعة أخرى شبه مفقودة، تصادفنا عناوينها في بعض الدراسات السابقة، لكنها غير متوفرة، ربما يعود ذلك لكونها لم تنشر مرة أخرى بعد طباعتها الأولى، نذكر منها:

- دعوة إلى الإسلام1947م.
- معنى الرحلة 1970م.
- الإسلام والديمقرطية 1968م.
- أنقضوا الجزائر 1957م.
- مذكرات شاهد للقرن الجزء الثالث 2006م.
- العفن الجزء الثاني 2007م.[2]

- آثاره ومؤلفاته:

ترك المفكر مالك بن نبي رحمه الله مجموعة قيمة من المؤلفات، نذكر من بينها حسب ترتيبها الزمني:[3]

1- الظاهرة القرآنية (1947).

2- لبيك (1948).

3- شروط النهضة (1949).

4- وجهة العالم الإسلامي (1954).

1- العقبي حسن موسى محمد: مرجع سابق، 37.

2- لعميري لويزة: مرجع سابق، ص- ص19-20.

3- الطيب برغوت، محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ-2012م، ص163.

5- فكرة الأفريقية الآسيوية (1956).
6- نداء الجزائر (1957).
7- مشكلة الثقافة (1959).
8- فكرة كومنولث إسلامي (1960).
9- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (1960).
10- في البناء الجديد (1960).
11- تأملات (1961).
12- في مهب المعركة (1961).
13- ميلاد مجتمع (1962).
14- آفاق جزائرية (1964).
15- مذكرات شاهد القرن- الجزء الأول(1965).
16- إنتاج المستشرقين (1967).
17- مذكرات شاهد القرن –الجزء الثاني (1970).
18 مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (1971).
19- المسلم في العالم الاقتصاد (1974).
20- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (1974).
21- بين الرّشاد والتية (1978).
22- من أجل التغيير (1989).
23- القضايا الكبرى.
24- مجالس دمشق (2005).[1]

1- الطيب برغوت: مرجع سابق، ص- ص163-164.

المبحث الثالث: قراءة في فكر مالك بن نبي

مالك بن نبي صاحب مشروع فكري متكامل ومستقل يتميز بالشمول والعمق، فقد كان مفكراً يحمل هم أمته منشغلا بالبحث عن أسباب تخلفها واستسلامها لوضعها في ذيل الأمم بعد أن كانت في صدارتها، فحاول أن يجد الإجابة لهذه المشكلات، فوجه جهوده إلى البحث في جوهر المرض وتوصل إلى أن أزمة المسلم في جوهرها تعود إلى غياب حضارته وغياته من صنع التاريخ فحاول **مالك بن بني** تشخيص مشكلات الحضارة بوجه عام وتحليل عناصرها من خلال إلقاء الضوء على بعض القضايا والتي تتضح من خلالها بعض سمات فكرة وهي:[1]

1- الحضارة:

يعتبر مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد وذلك بفضل التطور الدّلالي الذي حظيت به عبر التاريخ، ولعل هذه الصعوبة راجعة إلى الخلفية الفكرية لصاحب كل تعريف والمتطور الذي يقدم من خلاله وباعتبار فكرة الحضارة، هي المحور الرئيسي والإطار الأساسي الذي تور حوله أفكار مالك بن نبي، فالمشكلات كلها في ضوء رؤيته تندرج تحت تلك المشكلة، يقول **مالك بن نبي**:<< إن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة>>،[2] وقد وضع إنتاجه الفكري تحت عنوان مشكلات الحضارة، انطلاقا من تلك الرؤية حيث يقول:<< كتبي كلها بعناوينها المختلفة أدرجت تحت عنوان عام هو (مشكلات الحضارة) لأن المجتمع، لا يعاني عندما تحل به أزمة سوى مشكلة واحدة، هي مشكلة حضارته في طور من أطوارها يتلائم، أو لا يتلائم مع ضروريات الحياة فعندما يتحقق شرط الانسجام تكون الحضارة مزدهرة، فيكون المجتمع بمثابة العقل السليم في الجسم السليم، وإن لم يتحقق هذا بالانسجام تحل بالمجتمع في هذا الطور من أطوار حضارته كل المحن التي يعانيها تحت أسماء مختلفة، من فقدان الحضارة، إذاً فكتبي أردت أن أخصصها من ناحية لدراسة أعراض هذا المرض ومن ناحية أخرى إلى

1- عبد الله بن حمد العويسي: مالك بن نبي حياته وفكره، ص455.

2- المرجع نفسه، ص456.

تقييد طرق علاجها>>[1]، وقبل تبيان معنى الحضارة في إنتاج مالك الفكري لابد من أن نعرج على تعريف المصطلح أولا.

أ- تعريف الحضارة في اللغة العربية:

يدور معنى الحضارة في اللغة العربية حول الإقامة في الحضر، أو هي ضد البداوة، الحضر خلاف البدو، وكذا الخاص خلاف البادية ، وهي المدن والقرى والريف والبادية خلاف ذلك يقال فلان من أهل الحاضر، وفلان من أهل البادية وفلان حضري وفلان بدوي، والحاضر: الحي العظيم[2]، وكان **الأصمعي** يقول: "الحضارة بالفتح، والحضارة الحي العظيم أو القوم".[3]

وقال **القطامي**:(*)

- ومن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

ونحضر: حضر، وتخلف بأخلاق أمل الحضر وعاداتهم، كما تستخدم لفظة الحضارة، بمعنى مظاهرة الرّقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر.

<< فاستخدام الكلمة في العربية يرتبط بدلالة مكانية تحمل في بعض مجالاتها معنى من معاني الحركة المقصودة، والخير قولنا رجل حضر، إذ حضر بخير، وقد تطورت هذه الدلالة المكانية-أعني الإقامة في حضر- التي وردت في أصل الكلمة إلى يستتبع هذه الإقامة من التعاون والتآزر، وتبادل الأفكار والمعلومات في شتى شؤون الحياة كمن علوم وعمران وثقافة>>.[4]

1- ابن منظور، لسان العرب (مادة خضرا)، د.ط، دار صابر، بيروت، 1992، مج4، ص196.

2- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكرة، ص45.

3- المرجع نفسه، ص456.

(*)- القطامي: هو عمير بن شييم، شاعر عراقي، معاصر للأخطار، كان نصرانيا فأسلم، شارك في حروب قومه من تغلب مع خصومها من قبس عيلان، يدل شعره على بدويته واستعداده للقتال.

4- ابن منظور، لسان العرب (مادة حضر)، د.ط، دار صابر، بيروت، 1992، مج4، ص196.

ب- مفهوم الحضارة اصطلاحا:

بعد تناولنا الحضارة من حيث اللغة، نحاول الآن أن نتعرف على الحضارة في الجانب الاصطلاحي، بالرغم من أنه ليس هناك تعريف محدداً للحضارة، يمكن أن يتفق عليه بين الباحثين والمفكرين، مع العلم أن لفظي الحضارة والتحضر لم يكونا شائعين.[1]

الاستعمال عند العرب، على عكس العالم الغربي، والذي حضي بفرصة الاستخدام للفظ الحضارة تعبيراً عن المجرى التاريخي للشعوب والمجتمعات ويكاد ابن خلدون أول من تنبيه إليها واستخدمها في مقدمة إلا أن اصطلاحه الذي كان يستعين به معظم الأحيان عن هذه الكلمة :" نمو العمران البشري الذي يقابل الحضارة البشرية،[2] يقول "ابن خلدون" في تعريفه للحضارة <<إنما هي تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائده، وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجدته والتأنق فيه وتختص به ويبلور بعضها بعض، وتكثر باختلاف ما تتنوع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعيم بأحوال الترف، وما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور للبداوة ضرورة لضرورة تبعيه الرّقة للملك>>[3].

وبذلك يكون ابن خلدون قد حدّد مقصودة بالحضارة.

- الحضارة عند مالك بن نبي:

يعرف مالك بن نبي الحضارة من عدّة جوانب

* **الأولى: الحضارة باعتبار جوهرها:** فهي بهذا الاعتبار تتطابق مع معنى الثقافة عنده فهو يعرفها بأنها:<< في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة، فالثقافة هي جوهر الحضارة لأن كل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى حيز التنفيذ، فجور الأولى هو جوهر الأخرى بالضرورة>>[4].

1- عفت الشرقاوي: في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربي، بيروت ، 1979، ص13.

2- عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ط2، دار العلم للملايين، د.ط، 1978، ص173.

3- عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ص172.

4- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ط5، دار الفكر المعاصرة، بيروت، 2005، ص77.

وبهذا المعنى يفسر التحضر بمعناه <<أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية، من أجل وظيفتها التاريخية>>[1].

* **الثاني: الحضارة باعتبار المبدأ الذي تأسس في ضوئه وظيفة مجتمعاته:** فهو يعرفها من هذا الجانب بأنها:<< إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل، يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى، والحضارات الأخرى>>[2].

* **ثالثا- باعتبار تركيبها:** الحضارة باعتبار عناصر تركيبها هي:

<< بناء مركب اجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط، مهما كانت درجة تعقيدها كحضارة القرن العشرين، وهذه العناصر هي: الإنسان والتراب والزمن>>[3].

فالحضارة تساوي إنسان+ تراب+ زمن والإنسان هو العنصر الأساسي من تلك العناصر الثلاثة، إذ أن العنصرين الآخرين إنما شكلان المجال الذي تظهر فيه عبقرية الإنسان وفاعليته.[4]

وتركيب العناصر الثلاثة إنما يتم بواسطة الدين الذي يحقق بتركيبها حضارة من الحضارات فعنصر الإنسان، كما في قول الله تعالى:<< إِنِي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ>>.[5]

1- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص49.

2- المرجع نفسه، ص1.

3- مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص198.

4- عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص473.

5- سورة البقرة، آية 30.

أما الزمن: كما في قوله:<< مُسْتَقَرٌ وَمَتَاعٌ إِلَّى حِينْ>>[1]

أما المركب لها أو المنهج الذي تتركب تلك العناصر بواسطته ويحدد وظيفتها ووجهتها؛ فنجده في قول الله تعالى:<< فَإِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِي هُدَى فَمِنْ اتَّبَعَ هَدَايَّ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونْ والَذِّينَ كَفَرُواَ وَكَذَّبُوا بِآيَائِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونْ>>[2].

وعلى هذا فالحضارة تنقسم إلى جانبين:

* **الأول:** عناصر هي العناصر الثلاثة، الإنسان والأرض والزمن.

* **الثاني:** منهج يوضح كيفية أداء الإنسان لوظيفته (الوحي).

رابعا: الحضارة باعتبار وحدتها أو علاقتها بمنتجاتها

فهي من هذا الجانب كل منسجم من الأشياء والأفكار بصلتها ومنافعها وألقابها الخاصة وأمكنتا المحدّدة، كما يعرفها بأنها مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي حيث ينشأ ويقوى هيكلها ويبين المجال الفكري، حيث ننمو وتتمحور روحها.[3]

إن الحضارة هي نتاج حركة أبناء المجتمع بتوازن معنوي، مادي إلى أهداف محددة تحقق ممارسة الدور لهذا المجتمع في تاريخ البشرية.[4]

وعليه فإنها مهمة مجتمع، حيث تتحقق من خلال توفير المجتمع لشروط الفرد معنويا وماديا.

إذ أردنا أن تجمع تعريفه في تعريف واحد نقول: أن الحضارة مجموعة من القيم الثقافية (أخلاقية ومادية) المبدأ فيها فكرة حية بثلاث عناصر أساسية (الإنسان، التراب، الوقت) الوحدة فيها انسجام بين الأفكار والأشياء هدفها تحقيق المساعدة للإنسان في كل أطوار حياته.

1- سورة البقرة، آية 36.

2- سورة البقرة، آية 38-39.

3- مالك بن نبي : شروط النهضة، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 000، ص48.

4- أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكراً لإصلاحيا، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986، ص16.

فالحضارة في فكر مالك بن نبي تتمركز أساسا في الفكرة الدينية حيث يعتقد أن الحضارات تشكلت في تركيبها المتآلف الأصلي للإنسان والتراب والوقت من انطلاقةٍ روحية.[1]

- عناصر الثقافة عند مالك بن نبي:

لقد تناول **مالك بن نبي** عناصر الحضارة بوضوح وحددّها بدقة حيث يقول:<< إن أول ما يجب علينا أن تفكر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أمن تفكر في عناصرها، تفكير الكيمياوي في عناصر الماء، فإذا أراد تكوينه فهو يحلل الماء تحليلا علميا فحينما نحلل منتجات الحضارة، ونأخذ أيا منها ولتكن هذه الورقة، فإننا نجدها تتكون من عناصر ثلاث: الإنسان...التراث...الزمن>>[2].

إن **مالك بن نبي** يحصر عناصر لحضارة في الإنسان والتراب والوقت، حيث يقول:

<<فكل حضارة تستلزم رأسمال أولى مكون من الإنسان والتراب والوقت، فهي مركبة من هذه العناصر الثلاثة الأساسية>>[3].

ومعادلة تركيب الحضارة هي كالتالي: ناتج حضاري= إنسان+تراب+ وقت، ومثل ذلك المصباح حيث يوجد الإنسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعد المصباح ثمرتها والتراث في عناصره من موصل وعازل، والوقت يبرر في جميع العمليات وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين الإنسان والتراب.[4]

لكن هل يمكن اعتبار هذه المعادلة بطريقتين:

* **الطريقة الأولى:** طريقة الإضافة بحيث يضيف كلمة أخرى إلى المعادلة المتمثلة في كلمة علم على سبيل المثال فيصبح المنتوج الحضاري يساوي: إنسان+ تراب+ وقت+ علم وهذا غير صحيح من حيث الناحية العلمية لأن العلم بدوره منتوج حضاري يساوي:

إنسان+ تراب+ وقت.

1- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص60.

2- مالك بن نبي، تأملان، دار الفكر، د.ط، بيروت، 2002، ص180.

3- مالك بن نبي : فكرة الإفريقية الآسيوية(في ضوء مؤتمرات باندونج)، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 2006، ص177.

4- مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي، عبد الصور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، 1986، ص99.

* **الطريقة الثانية:** المتمثلة في الطرح، فإذا نزعنا من هذه المعطيات الثلاثة الزمن مثلا، لأن الزمن قيمته كبيرة في تكوين المنتوج الحضاري.

وقد قام مالك بن نبي بتفكك وتحليل هذه المعادلة، وشرح كل عنصر على حدى حيث أعطى الأولوية الكبرى للإنسان في الحضارة الإنسانية وهذا ما سنوضحه في العنصر الموالي.[1]

- المعادلة الحضارية:

إن الحضارة هي تلك المعادلة المعبرة أساسا عن المشكل الحضاري وبالتالي فالمركب الحضاري في الحقيقة هو مجموع المشكلات الثلاث الآلفة الذكر: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، والتي قام بن نبي بتحليلها لتبيان وإعطاء الصورة الحقيقية للحضارة والتي يمكن حلها والكشف عن أسرارها-خاصة في العالم العربي- فإذا أردنا أن نقيم حضارة لا يكون ذلك بتكديس المنتجات وإنما لحل المشكلات الثلاثة من أساسها.

أهمية الإنسان في بناء المشروع الحضاري، تهاوت مع سيطرت الأفكار الأوروبية القيم المحافظة على إنسانية الإنسان، وطغت ألوية الكميات، فسقط معها تكريم الإنسان وحربية وفقد التوازن في ذاته مما جعل البشرية تتخبط في فلسفات تحاول أن تطرح حلولا في كيفية الإنسان لواقعه، ومع ذلك لم يجد الأمر نفعا بل كثرت العبثية، فانهارت قيم الخلق وصار الإنسان مكملا لعالم الأرقام علما أن تطرح المجتمع وتقدمه، لا ولن يكون إلا بإعادة الاعتبار للإنسان ذلك الكائن الذي لا يمتلك سواه الدور في صنع وأعمار التاريخ.[2]

إن حل مشكلة الإنسان غير متوفرة في الفكر السياسي الذي يوجه حضارة الدول الكبرى لأنه فكر مادي بفرعيه: الرأسمالي والماركسي لأن هذه الفلسفات لا ترى في الإنسان إلا عالم أعدا وأرقام، بينما المسألة تختلف جذريا في الإسلام الذي ينظر إلى الإنسان من زاوية الاستخلاف في الأرض، وإن كل ما في الكون من موجودات ومخلوقات مسخرة له<< إن الإنسان ليس الشيء الذي تجري عليه التجارب...فالإنسان ليس الكم بل الصفة التي قرنها الله بالتكريم سلالة آدم، فالمسلم يكرم بهذه الصفة بصورة مطلقة>>.[3]

1- مالك بن نبي: مشكلة الحضارة، مجلة الأصالة، ص146.

2- المصدر نفسه، ص146.

3- المصدر نفسه: ص192.

فالإنسان أساس كل تغيير لأن الحضارة لا يقوم بلا إنسان، فهو الركيزة الأساسية في كل تغيير، الاستثمار فيه هي الثورة الحقيقية في استمرار الحضارة، لكون هذا الأخير هو الذي يبدع ويغير ويطور، فحسب **مالك بن نبي**:<<فالشخص في حد ذاته ليس مجرد فرد يكون النوع وإنما هو الكائن الذي ينتج حضارة وهذا الكائن في حد ذاته نتاج للحضارة>>[1].

مما سبق فإن مالك بن نبي يحدد مفهوم الإنسان، لوصفه عنصراً في حركية التاريخ من خلال تحديد أبعاد هذا الإنسان الكونية أو البيولوجية وأبعاده الاجتماعية، إن هذا الإنسان يتكون من معادلين:

أ- **معادلة بيولوجية:** هي الصورة التي خلقه الله عز وجل عليها ولا تبديل في هذا الجانب منذ بداية الإنسان إلى نهايته على الأرض.

ب- معادلة اجتماعية: هي ما يكسبه الفرد من مجتمعه باعتباره عضو فيه وهي محل التغيير، بحيث يختلف وضعه في التاريخ بحسب تلك المعادلة الاجتماعية من حيث الفعالية وعدمها.[2]

أن اهتمام **مالك بن نبي**، ينطلق من إيمانه العميق بأنه الشرط الأساسي لكل حضارة وإنها تؤكد دائما الشرط الإنساني.[3]

فهو العنصر الفعال الذي تبدأ به عملية التغيير الاجتماعي وأن دور هذا الإنسان لا يتوقف على حفظ النوع، بل هو خليفة الله في الأرض وهذه الوظيفة الإستخلافية توجب عملية تغيير نفسي واجتماعي يخضع لها الإنسان من خلال الثقافة المستمدة أنساقها من العقيدة الدينية، ليكون الأقدر على القيام بدوره الفعال في بناء مجتمعه.[4]

1- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ط3، ج1، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1986، ص19.

2- مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، ط4، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1986، ص29

3- مالك بن نبي: وجهه العالم الإسلامي،ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 2000، ص14.

4- نور الدين مسعودان: مالك بن نبي يعلم معاصريه، د.ط، دار النون للطباعة والنشر، د.ب، دنس، ص19.

- مشكلة التراث:

يدخل **مالك** التراث ضمن عناصر الحضارة من حيث قيمته الاجتماعية،[1]وقد بين ما سبب تجنب استخدامه في هذه المعادلة مصطلح (مادة) وفصلنا عليه مصطلح (تراث)، والعرض من هذا الاختيار هو تحاشي اللبس في كلمة (مادة)، حيث أنها تعني في باب الأخلاق مفهوماً مقابلا لكلمة (روح) وتعني في باب العلوم مفهوما ضد مفهوم كلمة (طاقة)، وفي الفلسفة نجدها تعطي فكرة هي نقيض ما يطلق عليه اسم (المثالية).

وعلى العكس من ذلك، لم يتطور مفهوم لفظ (تراب) إلا قليلا واحتفظت من حيث معنى المفرد ببساطة جعلته صالحاً لأن يدل بصورة أكثر تحديداً على هذا الموضوع الاجتماعي.

على أن المصطلح قد ضم هنا بهذه البساطة مظهراً قانونيا يخص تشريع الأرض في أي بلد، ومظهراً فنيا يخص طرق استعماله وهذان المظهران يمثلان مشكلة التراب>>[2].

وهكذا فمشكلة التراب عند مالك ذات شقين:

- الشق الأول- الجانب التشريعي:أي من ناحيته تشريع ملكيته في المجتمع، فتشريع أثره في الجانب الاجتماعي فهو يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية بقدر ما يكون محققا للصالح العام.

- الشق الثاني- الجانب الفني: أي من ناحيته استخدامه فنيا وتقنيا باستغلاله وفق شروط تحقق مصلحة المجتمع والتراب،[3] هو المجال الحيوي ويعني به ما فوق التراب وما تحته فكيف تتعامل مع ذلك المجال الحيوي وتكيفه وتستعمله حسب أهدافها وحاجاتنا، فالبناء الحضاري لا يحتاج فقط لمكان تقيم عليه بناء حضارتنا ليحتضنها، فالتراث بالنسبة له هو مورد وثورة حضارية، وكيفيه استغلاله هو العامل الحاسم في بناء الحضارة، فالتربة لا تقاس بمساحتها ولا بعدد سكانها ولا بموقعها بقدر ما تقاس بقيمتها الحضارية المشعلة.

1- مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص131.

2- المصدر نفسه، ص- ص44-45.

3- مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص168.

- مشكلة الزمن:

هو ذلك المخلوق الصامت والعابر بنا وحولنا والذي لا يسمع له صوتا ولا تلمس له ركنا ولكننا نعيش بين أحضانه منذ اللحظات الأولى لوجودنا في هذا العالم إلى غاية لحظات رحيلنا عنه وتركه ورائنا، فالوقت هو الذي يتمون من أصغر جزء فيه ليمتد عبر العصور الطويلة، فحياة الشعوب والأمم والحضارات لا تقاس إلا بمقاييسه.[1]

إن العملية الذهنية يمكن أن تضيع، وإن يجدها المرء بعد صناعتها ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة، ولا أن تستعيدها إذا مضت.[2]

إن الوقت إن لم يفهم كعامل مساهم في البناء الحضاري لا يمكن أن يفهم كقيمة اجتماعية تساهم في هذا البناء، وهذا ما يوضحه مالك بن نبي خلال طرحه لمشكلة الحضارة والتي هي في الأساس مشكلة وقت وإنسان وتراب.

إن ما ينحصر في الوقت الحضاري من أعمال فكرية ومادية يكون قياسيا مقارنه لما ينجز في وقت غير حضاري، فالوقت كالإنسان كلاهما عنصرا أساسيا في بناء الحضارة وكل منهما يفيدنا ويستفيد منها، وكلها ارتقت لحضارة وازدهرت كلما كان للوقت أهمية قصوى يصبح ثمينا.

وقد أصبح وقت حضارتنا المعاصرة يقاس بالثواني والدقائق، وما كنا نحتاج لفعله وانجازه في شهور وسنوات أصبح ينجز في دقائق وثواني.

إن قيمة الوقت أغلى من قيمة المال، لأن بعض الوقت يعطيك المال وإن المال كله لا يعطيك بعض من الوقت.[3]

لقد ركز **مالك بن نبي** في هذا الصدد على أن تحديد فكرة الزمن لا تتم إلاّ بتحديد معنى التأثير والإنتاج وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصها، هذا المعنى الذي لم تكسبه بعد، هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط في تكوين المعاني والأشياء، فالحياة

1- إبراهيم بن الطيب: مالك بن نبي وابن خلدون -آراء ومواقف مشتركة، مرجع سابق، ص5.

2- مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص140.

3- إبراهيم بن الطيب: مرجع سابق، ص135.

والتاريخ الخاضعان للتوقيت كان وما يزال يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ما تحته إلى توقيت دقيق وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا.[1]

ويقصد **بن نبي** في هذا الصدد أن الإنسان يجب قبل إدراكه لمعنى، الوقت والزمن الطبيعي غليه أن يفهم أن الزمن نهر عابر لا يركن ولا يستقل، ولا يشيح بالنظر إلى الوراء للأماكن والأشخاص لذلك كان **بن نبي** يعني أن الوقت له مفهوم آخر يتجسد في عقول الأفراد دور الأنفس الفعالة في المجتمع، وإننا نحن الآن في المجتمع العربي لا نفهم الوقت كما يجب، سوى أننا تقسم الأربع والعشرين ساعة إلى وقت النوم، ووقت للأصل والشرب ووقت للعب والمرح ووقت للعمل الذي وإن وجد فهو غير مجدي وغير نافع، فما فائدة الوقت إذن إن لم يخصص في البناء والتعمير والتشييد والتثقيف والإبداعي والنشاط الإنساني الفعال.

مما سبق أن الحضارة لا تقوم إلا إذا توفرت شروطها وعناصرها الثلاث في مجتمع معين، ولكن ينقص الرّبط بين هذه العناصر من خلال الرّابط أو المركب الديني والذي يدعو إليه **مالك بن نبي** في أي مناسبة حضارية، لذلك فالحضارة عنده تقوم على: الإنسان+ تراب+ الوقت+ الفكرة الدينية أو المركب الديني.

مراحل الحضارة عند مالك بن نبي:

من خلال الشكل التوضيحي التالي تفهم مراحل تشكل الحضارة عند مالك بن نبي، والذي يقرها في ثلاث مراحل: مرحلة الرّوح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة أو الأفول.

1- مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص140.

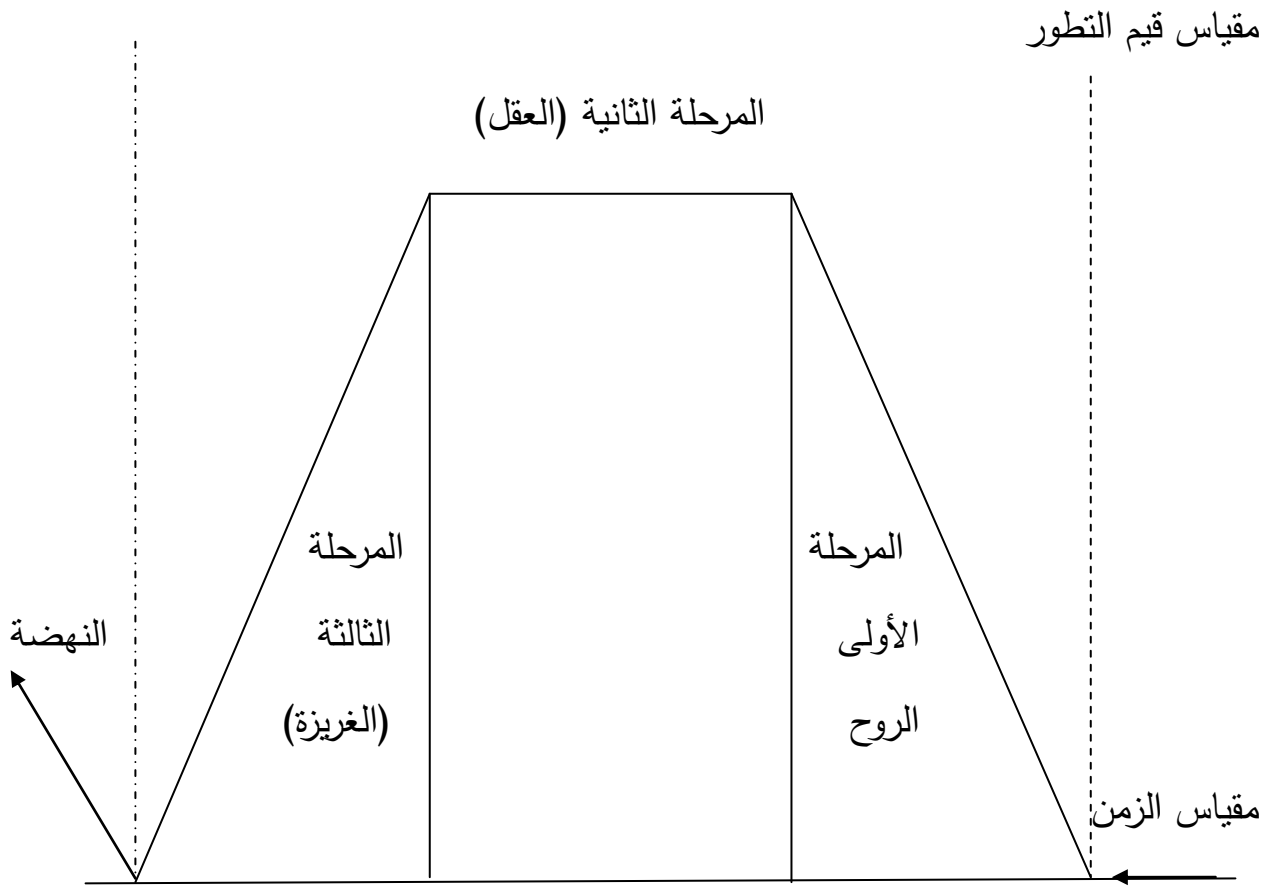

الشكل رقم 01: الدورة الحضارية عند مالك بن نبي[1]

إن المتأمل لهذا المخطط يستطيع أن يلاحظ أن واضعه يستند إلى خبرات واسعة في مجال البحث الحضاري، فقد ارتبط طبيعة المجتمع في حدّ ذاته، وما يصاحبه من تحولات ومتغيرات مرتبطة بذلك العصر الذي أوجدتها، فإنسان ما قبل الحضارة يمثل مجتمع ما قبل الحضارة أي مجتمع الاستخدام البدائي للوسائل، فهو مجتمع متميز بالروح القبلية الضيقة، والأخلاقيات المشبعة والمتعلقة على نفسها ولكنها قابلية للتفهم والانسياق نحو الأفكار العظيمة، فهذا المجتمع له قابلية للحضارة.

وأحسن من يمثل هذا المجتمع القبيلة القريشية في مكة، قبيلة الرسول– صلى الله عليه وسلم أثناء نزول الوحي عليه في غار حواء والذي شهد اِنبثاق الشرارة وإشعاع الفكرة الدينية والتي استطاعت أن تمتلك النفوس وتسخرها من أجل خدمة الإسلام والمسلمين.

1– مالك بني: شروط النهضة، مصدر سابق، ص56.

إن المرحلة الأولى؛ من مراحل الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص هي مرحلة الرّوح التي انبثقت مع نزول أوّل آيه قرآنية على الرسول الكريم، ولقد تميزت هذه المرحلة بكتب الغرائز وتوجيهها لصالح المجتمع، ليصبح السلوك الفردي والجماعي سلوكا روحيا محضاً، حيث تظهر التضحية والفضيلة السائدة في هذا الطور، وما الغزوات والمعارك والفتوحات التي سقط فيها شهداء الإسلام إلا دليل على عظمة الفكرة والرّوح التي تمتع بها الإنسان القابل للحضارة والذي كان يخطط لصنع حضارة إنسانية حيث يقول مالك بن نبي عن هذه المرحلة<< بأنها الطور الذي يروض فيه الغرائز، وتسلك في نظام خاص تكبح فيه الجماح وتتقيد عن الانطلاق>>.[1]

أما المرحلة الثانية: والتي كما هي موضّحة في المخطط البياني مرحلة العقل أو كما يصفها بن نبي منعطف العقل، غير أن هذا العقل لا يمتلك سيطرة الرّوح على الغرائز، وحينئذ نشرع الغرائز في التحرر من قيودها، غن أخذت الرّوح تفقد نفوذها على الغرائز بالتدرج كما كف المجتمع عن ممارسة ضغطه على الفرد.[2]

أما المرحلة الثالثة؛ هي المرحلة الغريزية (الأقوال)، حينما يصل المجتمع إلى هذه المرحلة تكون الغرائز، قد بلغت قمة تحررها، وأضحت هي السيطرة على المجتمع، وتفقد الّوح قدرتها على الهيمنة وبذلك تتم دوره الحضارة، ويصل المجتمع إلى المرحلة الثالثة من مراحل التاريخ، أي مرحلة ما بعد التحضر.[3]

وهذه المرحلة هي أحط مراحل ضعفها وتقهقرها، لأن الإنسان فيها يكون محكوما بغرائزه الجوانبية السافلة، وتستفحل الأنانية في حياته وعلاقته.[4]

لكل مرحلة من المراحل تسميتها الخاصة بحيث تتميز عن الأخرى سواء كانت سابقة لها أم لاحقة، فيختلف بذلك المجتمع من حيث التخلف.

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص67.

2- المصدر نفسه، ص69.

3- مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص45.

4- الطيب برغوت: محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الشاطية للنشر والتوزيع، ط1، 1012، ص39.

2- الثقافة:

أ- الثقافة في اللغة:

وردت بجملة من المعاني، لا تمثل المعنى الذي يستخدم به مفهوم الثقافة في العصر الحاضر، فالتعريف اللغوي للكلمة لا يكشف عن مضمونها أو يحددها باعتبار مفهوماً من المفاهيم السائدة في هذا العنصر، إذ هي بهذا الاصطلاح محدثه.[1]

- فقد ورد في القاموس:<< ثقف، ثَقفاً وثقافةُ؛ صار حاذقا فطنا فهو ثقف، وخل ثقيف حامض جداً، وثقفه-كسمعه- صادفة أو أخذه أو ظفر به أو أدركه، و امرأة ثقاف -بالفتح- فطنة- وبالكسر-الخصام والجلاد وما تستوي به الرّماح، وثقف-بالفتح- من أشكال الرّمل وثقفه تثقيفا سواه، وثاقفه فثقفه غالبه فغلبه في الحذق>>.[2]

- وفي الصحاح:<< ثّقف ثّقفا وثقافة أي صار حاذقا خفيفاً فهو ثقف ومنه المثاقفة والثقافة ما تسوى به الرّماح، ومنه:

- إذ عض الثقاف بها اشمأزت تشبح قفا المثقف والحبيبا

وتثقيفها؛ تسويتها، وثقفه ثقفا، صادقه، كما في قول البعض:

- فإما تثقفوني فاقتلوني فإن أثقف فسوف نوون بالي

وثّقِفَ- أيضا- ثَقفا أي صار حاذقا فطنا فهو ثَقِفَ وثَقُف.[3]

<<والثقافة الملاعبة، بالسيف وثقف الرّجل في الحرب أدركه وثقف الشيء إذا ظفر به>>.[4]

- وقد وردت في القرآن الكريم في عدّة مواضع منها: قول الله تعالى:{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}[5] وقوله تعالى:{فَخُذُوهُمْ واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}[6]<<بمعنى أين أصبتموهم من الأرض ولقيتموهم فيها فاقتلوهم>>.[7]

1- انظر المعجم الوسيط: إعداد مجمع اللغة العربية، مادة ثقف.

2- مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة ثقف.

3- إسماعيل الجوهري: الصحاح، تح: أحمد عطار، مادة ثقف.

4- المعجم الوسيط: إعداد مجمع اللغة العربية، مادة ثقف.

5- سورة البقرة، آية191.

6- سورة النساء، آية91.

7- ابن جرير الطبري: جامع البيان، ج2، ص111.

وهكذا فالمعاني كما وردت في المعاجم لا تؤدي إلى حل مشكلة التعريف،[1] ولعل ترجمة المصطلح الغربي بلفظه الثقافة كان قد وضع على أساس أن الثقافة تتضمن أمرين:

- **الأمر الأول:** المعارف والفنون.
- **الأمر الثاني:** الحذف فيها.

وهذا ما يبدوا واضحاً من التعريف الوارد للكلمة في المعجم الوسيط الذي أعده مجمع اللغة العربية، فقد ورد فيه:<< الثقافة، العلوم، المعارف والفنن التي يطلب الحذق فيها>>.

وهذا المفهوم لا ينطبق تماما على المفهوم الغربي في لغاتهم.

الثقافة اصطلاحا:

من الناحية الاصطلاحية عرّفها **إدوارد تايلور**:<<على أنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون العرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكسبها>>.[2]

لقد نالت الثقافة اهتمام المفكرين قديما وحديثا ومالك هو الآخر اهتم بالثقافة ، لم ينظر إليها من جانب التعريف بل جاوز التعريفات إلى ما هو أبعد من ذلك حيث ربها بوظيفتها التاريخية والاجتماعية والتربوية من خلال التحليل النفسي والتركيب النفسي للثقافة، **فالتحليل النفسي للثقافة**؛ يراد من خلاله فهم الثقافة التي تحتاج إلى منهج يحدّد طبيعة ومحددات هذا الفهم الذي يفترض أن ينسجم مع الشروط التاريخية ودرجة التطور الحضاري.

أما التركيب النفسي للثقافة: هو العمل على تحويل الثقافة من حيز النظرية، عالم الأفكار إلى حيز الواقع وعالم التطبيق بحيث تتصل الثقافة بالمجتمع.

ففهمها من الناحية التاريخية؛ تكمن في تلك الكتلة بما تتضمنه<< من عادات وتقاليد وعبقريات متفرقة وأذواق متجانسة وعواطف متشابهة، أما من الناحية التربية، يتحدد من صياغة بطبقة من الشعب دون آخر، إنما هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجمع ضروب

1- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص19.

2- المصدر نفسه، ص- ص17-19.

التفكير والتنوع الاجتماعي، فهي تشمل في معناها العام على الإطار حياة واحدة وهي تهتم في معناه بكل طبقة من طبقات المجتمع فيما يناسبها من وظيفة تقوم بها>>.[1]

فهو لم يعطي تعريفا مجرّد بل ربطها بمهمتها ووظيفتها باعتبار جوهر الحضارة فوظيفتها<< تقوم بالنسبة للحضارة بوظيفة الدم إلى الكائن الحي فالدم ينقل الكريات البيضاء والحمراء التي تصون الحرية والتوازن في الكائن وتكون جهازها مقاومة ذاتية>>.[2]

بهذا التحليل النفسي والتركيب النفسي للثقافة وكشف ارتباطها بالحضارة وبعد المناقشات ومقارنات مستفيضة وناضجة لأفكار وتطورات حول الثقافة تنتمي المدرس فكرية، اهتدى مالك بن نبي إلى تعريف للثقافة بصورة علمية وبصفة شاملة لها حيث يقول:<< هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوك بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه>>.[3]

ويدخل في هذا التعاريف العناصر الأربعة المكونة لها: **المبدأ الأخلاقي، الذوق الجمالي، المنطلق العلمي، الصناعة أو العلم** وهذه العناصر تتفاعل في الحركة ونمو الحضارة، فمالك يرى أن المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي أهم العناصر المكونة للثقافة، غذ ربطها بالقيم الدينية وأعطى لها طابع الإنسانية.[4]

ومن ذلك يمكن القول أن المنجز الثقافي ما هو إلا محصلة التفاعل بين الإنس وبيئته.

وهذا ما يخلق تمايز بين الثقافات وتعطي خصوصية ذاتية لكل شعب عن آخر من خلال مبادئها فالحضارة الغربية مادية متطرفة والحضارة الإسلامية إنسانية متسامحة.

إن ثقافة الأمة بالنسبة **لمالك بن النبي:**<هي ذلك الجو المكون من عادات وتقاليد وأذاق...إن الثقافة هي الجو المشتمل على ظاهرة من الأوزان والألحان والحركات وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد بمعنى أنها الجو الذي يطبع أسلوب الحياة في

1- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص- ص17-19.

2- مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء باندونغ، تر: عبد الصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، 2006، ص145.

3- مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية، ص74.

4- البشير قلاتي : هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغيير الاجتماعي والبحث الحضاري، ط1، منشورات مكتبة لإقرأ، الجزائر، 2007، ص100.

مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي يجده في حياة مجتمع آخر>>.[1]

فالثقافة لها دور وفاعلية مهمة في حياة الشعوب حسب مالك<< فهي تبسيط تبسط للأفراد شبكة علاقة اجتماعية معينة تضمن للفرد عناية ورعاية المجتمع من جانب، ومن جانب آخر تضمن المجتمع من انحدار الفرد ونشوره وبذلك يكون المجتمع إذ لم يكن موجوداً ويقوي وتتفكك عنه أزمته إذا كان موجوداً فالتماسك شرط كتماسك البنيان المرصوص>>.[2]

وهذا البناء يشكل اِنسجام فهو بذلك يحفظ العلاقات في الشبكة الاجتماعية ويقويها وإذا حدث نشوز من جانب هؤلاء الأفراد فهذا معناه أن المجتمع معرض للتفكك ولا يكون هذا إلا في إطار الأخلاق على حد قول **مالك**:<<فالأخلاق وحدها تضمن وحدة المجتمع وصيرورته ووظيفته، أي ما يكلفه المجتمع لكل فرد يعيش فيه من ضمانات وأمن ورعاية وتعليم>>.[3]

وعلى هذا فالثقافة تحقق الأساس الأخلاقي في المجتمع الذي سهم في البناء الاجتماعي

- حيث يرى **مالك**:<فإن المجتمع الذي تأسس وتكونت وحدته من حيث ملبسه ومعاشه وترتيب أشيائه كتزيين البيوت، فالثقافة تمدنا بالذوق الجمالي وينمي فينا هذا الذوق>>[4]، وبهذا أدخل عامل الجمال كعامل نفسي فردي أو جماعي وفي هذا الصدد بن نبي يقول:<<لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل أو الأفكار الكبيرة فغن لمنظورها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة لا بد أن تظهر إثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله ومساعيه>>.[5]

1- مالك بن نبي: تأملات، مصدر سابق، ص147.

2- مالك بن نبي: مجالس دمشق، ط2، دار الفكر دمشق، 2006، ص108.

3- المصدر نفسه، ص109.

4- مالك بن نبي : مجالس دمشق، مصدر سابق، ص110.

5- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص20.

فانطباع الصورة الجميلة في نفس الإنسان تغرس فيه الرّغبة الإحساس على العمل وذلك وفق ما تفرضه بيئته من عادات، ومن هنا فإن للجمال أهمية كبيرة في توجيه الذوق الفردي والعام.

لهذا يعتبر **مالك بن نبي** أن الذوق الجمالي من أهم العناصر الديناميكية في مصلحة مكونات الثقافة لأنه حسب رأيه يحرك الهمم إلى ما هو أبعد.

كما أن الثقافة تدخل في الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم هي تشكل مفهوما للصناعة وكل المهن التي لها قيمتها الاجتماعية فهي تحسن الظروف المعيشية للفرد لكسب رزقه، وهذا يجعل منه إنسانا فعلا، أما بالنسبة للمجتمع فهو وسيلته للحفاظ على كيانه واستمرار نموه،[1] ووسيلته لتحقيق استقلاله من خلال الاكتفاء الذاتي، فإذا حدث قصور في الإنتاج يؤدي إلى التبعية الاقتصادية، وهذا ما تفعله الدول الكبرى، من أجل إخضاع الدول الضعيفة عبر استخدام الفروض وتصدير المنتجات الصناعية، خاصة الغذائية كورقة ضغط من أجل أن تبلغ الاستحقاق الثقافي عبر تلك الشروط التي تمليها المصالح الإستراتيجية الحضارية لتلك الدول.[2]

وهذه العناصر الأربعة التي تمثل جوهر الحضارة بالإضافة إلى الدين الذي يمثل الجانب المعنوي فيها، إذ ركز **مالك بن نبي** هنا على المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي ومادامت الحضارة نتاج إنسان+ تراب+ وقت يتفاعلون داخل مركب حيوي هو الفكرة الدينية أو العقيدة التي تشرع القيم فإن الدين هو مركب عناصر الثقافة ومادام أنه يشكل أصل المبادئ الأخلاقية وأساس الذوق الجمالي، **فمالك بن نبي** وضع الثقافة في إطار بناء متكامل عناصره وتشتد لحمته لتبني الحضارة، أي صياغتها وفق منهج تربوي قاتل للتجسيد في أرض الواقع.[3]

وبهذا فإن الحضارة التي تتخلى على المبدأ الأخلاقي وغيرت معايير الجمال فيها فإنها سوف تصل في النهاية إلى التدهور والانحدار الحضاري أو الأقول، لتصبح الثقافة بعدئذٍ ذكرى مجردة يعتني بها آخر الأجيال الذين شهدوا بعضا منا.

1- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص21.

2- البشير قلاتي: هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغيير الاجتماعي والبحث الحضاري، ص100.

3- المرجع نفسه: ص101.

وفي الأخير نخلص إلى أن مالك بن نبي في نظره يعتبر **المبدأ الأخلاقي: الذوق الجمالي، المنطق العلمي، العلم (الصناعة أو الفن)**هي المكونات الرئيسية للثقافة.

3- الدين:

إن تحديد مفهوم الدين واستخداماته في فكر "مالك بن نبي" أمر بالغ الأهمية، إذ أن عم تحديده قد يؤدي إلى الخلط أو ظن التناقص في فكره، فهو يتحدث أحيانا عن الدين ويقصد به الأديان السماوية فقط، وأحيانا أخرى يستخدم الدين باعتبار تضمنه أو قيامه على الإقرار بوجود الله وباعتبار الدين هو روح الحضارة ونظراً لأهميته البالغة واستخداماته الكثيفة في فكر مالك، إذ أن الدين عند عامل أساسي في الثقافة والحضارة، وقبل تبيان معنى الدين غي إنتاج "مالك بن نبي" الفكري لا بد أن نعرج على تعريف المصطلح أولا:

أ- الدين، لغة:

الجزاء، والإسلام والعادة والعبادة، والمواظب من الأمطار، أو اللين منها والطاعة، والذل، والداء والحساب، القهر والغلبة، الاستعلاء والسلطان والملك، والحكم، واليسيرة، والتدبير، والتوحيد واسم لجميع ما يتعبد الله-عز وجل- به، والملة، والورع، والمعصية، والإكراه ومن الأمطار ما يعاهد موضعا، فصار ذلك عادة له، والحل و القضاء،[1] والجمع أديان ، يقال دان بكذا ديانته، وتدين به، فهو دين ومتدين: دينت الرجل تدينى إذا وكلته إلى دينه.[2]

ب- الدين في القرآن الكريم:

ورد استخدام الكلمة في القرآن الكريم بعدة معان، فقد وردت بمعنى التوحيد كما في قوله تعالى:{فَأَعْبُدْ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينْ}.[3]

ج- الدين عند مالك بن نبي:

استخدم **مالك بن نبي** الدين بالمفهوم العام أي التعميم، فهو يستخدم الدين أحيانا بشكل عام على أساس أنه المنهج والطريقة وفقا لبعض الشروط، فالمذهب المادي: دين تقوم

1- مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة دين.

2- إسماعيل الجوهري: الصحاح، مادة دين.

3- سورة الزمل: الآية02.

عقيدته تألية المادة، واعتبار توقف الأشياء عليه،[1] في المقابل المذهب الغيبي الذي يرجع الخلق إلى الله عز وجل.[2]

فالدين في استخدام مالك بن نبي يتضمن جانبين:

الأول: الجانب الأخلاقي الذي ينظم سلوك الأفراد.

الثاني: وجود النزعة الغيبية التي تعطي المزارات ، وتوجد لدى الأفراد الرّوح الجماعية، والنزعة الغيبية أو الإيمان بالغيب في هذا الاصطلاح لديه ليس مقصوراً على الإيمان بالخالق بل ينسج بعيد الأمل مثل بناء مجتمع جديد يضع حجرة الأول جيل، ونواصل بناءه الأجيال المتتابعة.[3]

ضف إلى جانب الجانبين السابقين، جانب أو استخدام ثالث لمفهوم الدين عند مالك بن نبي، وهو الدين السماوي أو أديان التوحيد التي جاء بها الأنبياء عند الله عز وجل لتوجيه البشرية نحو الهدى.[4]

وبمعنى الحساب كما في قوله تعالى:{الذِّينَّ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينْ}[5]

وبمعنى الحكم كما في قوله تعالى:{مَاَ كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينْ المُلْكْ}[6]

وبمعنى الإسلام كما في قوله تعالى:{هُوَ الذّي لأَرْسَلَ رَسوُلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِ لِيَظِهَرَ علىَ الدّينْ كُلِهِ}[7]

وبمعنى الملة كما في قوله تعالى:{وَذَّلِكَ دِينُ الْقَيِمَةْ}[8]

و<< كما وردت في القرآن بمعنى القانون، والحدود، والشرع والطريق والنظام الفكري، والعملي الذي يتقيد به الإنسان، فإن كانت السلطة التي يستند إليها المرء لإتباعه قانونا من

1- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، مصدر سابق، ص70.
2- المصدر نفسه، ص78.
3- عبد الله بن حمد العويسي: مرجع سابق، ص299.
4- المرجع السابق، ص300.
5- سورة المطففين: آية11.
6- سورة يوسف: آية72.
7- سورة التوبة: الآية33.
8- سورة البينة: الآية05.

القوانين، أو نظاماً من النظم سلطة الله تعالى: فالمرء–لاشك– في دين الله عز وجل، وأما إذا كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك فالمرء في دين الملك، وإذا كانت سلطة...القس فهو في دينهم، وكذلك إن كانت تلك السلطة سلطة العائلة أو العشيرة أو جماهير الأمة، فالمرء–لا جرم–في دين هؤلاء>>.[1]

ومن ذلك قوله تعالى:{لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّنْ ماَ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ مِنْ الدِّينْ ماَ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ}،[2] وقوله أيضا:{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَّ دِينِي}.[3]

وكرد أيضا باعتبار الدين نظاما شاملا للحياة كقوله تعالى:{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَّ الله الإِسْلاَمْ}[4]

وهكذا يتحدد استخدام مالك بن نبي لمفهوم الدين بطرق ثلاثة:

- **الأولى:** الفكرة الدينية وتشمل المذهبين الغيبي والمادي.
- **الثانية:** خاصة بالمذهب الغيبي دون تحديد.
- **الثالثة:** في مذاهب التوحيد فقط.

4- الأفكار:

أخذت قضية الأفكار حيزاً مهما من تفكير **مالك بن نبي**، فيرى أنَّ عالم الأفكار يشبه أسطوانة يجعلها الفرد في نفسه عند ميلاده، وتختلف كل أسطوانة من مجت ملى آخر ببعض الأنغام الأساسية.

إن أسطوانة كل مجتمع مطبوعة بطريقة معينة، والأفراد أو الأجيال يضيفون إلى هذه الأسطوانة نغمتهم الخاصة وكأنها التوافقات الموسيقية الخاصة بالأنغام الأساسية.

والأفكار تشبه الأسطوانة التي لها أنغامها الأساسية أي نماذجها المثاليةArchétypes، فهي بمثابة الأفكار المطبوعة، أما التوافقات الموسيقية التي تخص الأفراد والأجيال، فهي بمثابة الأفكار الموضوعية، ولقد اتخذت العبقرية اليونانية شكلها وقالبها على الأفكار

1- عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص291.
2- سورة الشورى: الآية21.
3- سورة الكافرون: الآية06.
4 - سورة آل عمران: الآية 19.

المطبوعة التي أبرزها **هوميروس** (Homére) **وأكليوس** (Euclide) و**فيثاغورث** (Phythagore) و**سقراط، أمبدوكل** (Empédocle)، وعلى الأفكار الموضوعية التي أخرجها أفلاطون وأرسطو وأضافت إليها الأجيال الوثنية نماء ولإثراء وخرجت هذه المجموعة المتناسقة من الأفكار إلى العالم وكأنها لحن بديع نجد أثرا منها في الحضارة المعاصرة.

أما المجتمع الإسلامي فقد تلقى رسالته المطبوعة منذ أربعة عشر قرنا حين جاء بها الوحي من عند الله، وطبع هذه الرسالة في نفسيته وشخصيته الجيل الذي عاصر غار حراء الذي خرجت منه ما يشبه السيفونية البطولية لدين وصفه **نيتشيه** بأنه "دين رجال".[1]

إذن الأفكار إما أن تكون ذات مصدر إلهي تأتي عن طريق الوحي أو تكون من نتاج تأثر العقل البشري بالوحي، أو من إنتاج العقل البشري المحض الذي يصل إلى الحقيقة عندما يسعى لتأكد وظيفته في الحياة، ولهذه الأفكار على تنوع مصادرها وظائف مهمة ومهام هي:

1- اليقظة والنهوض والإقلاع:

كثيرا ما نسمع عن مجتمعات تعيش في حالة خمول وتخاف تسودها البدائية في التصرفات والأفعال حتى تتداركها العناية بنزول فكرة حية ناضجة وذلك حينما يخلوا الإنسان إلى وحدته وعزلته، فينتابه شعور بالفراغ الكوني فيحاول ملأ الفراغ بالأفكار، أي أن نظرته المستفسرة ستكون في بحث دائم عن الحقيقة فتكون بذلك اليقظة من هذه الغفلة.[2]

2- مقياس الغنى أو الفقر الاجتماعي:

يشير **مالك بن نبي** إلى حقيقة اجتماعية مهمة، لها علاقة وطيدة بغنى وفقر المجتمع وذلك في قوله:<<...لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء بل بقدر ما فيه نمن أفكار>>.

وهنا يبين **مالك بن نبي** أن القوة الحقيقية للأمة، تبرز في امتلاك الأفكار الحية والبناءة التي تساهم في السيطرة على عالم الأشياء، وتسخير مالها من وسائل في خدمة تلك الأفكار الحية.[3]

1- مالك بن نبي : مشكلة الأفكار، مصدر سابق، ص- ص49-50.

2- المصدر نفسه، ص11.

3- بن نبي: ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص37.

إن الأفكار لها قيمة في عملية الإقلاع الحضاري، شرط أن تكون حية بناءة حديثة لا قاتلة ولا ضئيلة، أو ميتة لا روح فيها وهذان النوعان هما:

1- الأفكار الميتة: وهي الأفكار التي انحرفت عن مثلها العليا، يقول **مالك بن نبي:**

<<...كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي أفارا ميتة تمثل خطرا أشد من خطر الأفكار القاتلة، إذ الأولى تظل منسجمة مع عاداته وتفعل مفعولها في كيانه من الداخل، إنها تكون قاتلة ما لم تتم تصفيتها، وهي التي تكون الجراثيم الموروثة التي تفتك بالكيان الإسلامي نمن الداخل...>>[1]، ومثل ذلك العادات والتقاليد الرجعية وكل الأمراض الاجتماعية في العالم الإسلامي.

2- الأفكار القاتلة المميتة: هي الأفكار المستوردة من المدنيات الأخرى، أو من كل فكرة فقدت عمق هويتها، ومقوماتها الثقافية، بعدما فقدت جذورها،[2] يقول **مالك بن نبي:**<<...هكذا مرقص، وكذا مقهى، وكذا كلية، وكذا برلمان: تحللا تاما... فأوروبا إذن تعطينا عناصر تحلل الأخلاق والمجتمع... لأننا بأفكارنا الميتة لا نرى أفكارنا الحية...>>.[3]

5- التاريخ:

التاريخ هو من أهم القضايا التي شغلت الكثير من المفكرين المسلمين من بينهم **مالك بن نبي** الذي بالرغم من أنه لم يترك كتابا مستقلا في هذا الحقل المعرفي إلأ أنه خصص له فصولا كاملة في عديد من كتبه.

- **مفهوم التاريخ:** التاريخ عند مالك بن نبي: يمثل النشاط المشترك للأشياء، الأشخاص والأفكار المتاحة في ذلك الحين بالذات، أي في نفس الأوان الذي يواكب عملية إنجازه>>،[4] وإذا أردنا تعبيرا أدق فإننا نقول: إن صناعة التاريخ تبعا لتأثير طوائف ثلاث:

- تأثير عالم الأشخاص.

- تأثير عالم الأفكار.

1- مالك بن نبي: في مهب المعركة، مصدر سابق، ص- ص129-131.

2- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار، مصدر سابق، ص153.

3- مالك بن نبي: في مهب المعركة، مصدر سابق، ص- ص133-134.

4- مالك بن نبي: القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص98.

- تأثير عالم الأشياء.[1]

وفي هذه العوامل الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من (عالم الأفكار)، يتم تنفيذها بوسائل من (عالم الأشياء)، من أجل غاية يحددها (عالم الأشخاص)، وكما أن وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة، فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها، وهي التي تتجسم في صورة (حضارة)، يعد ضرورة وهذا الشرط يلتزم وجود عالم رابع، هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية أو ما نطلق عليه (شبكة العلاقات الاجتماعية).[2]

يعتبر **مالك بن نبي** التاريخ علما قائما بذاته كسائر العلوم الأخرى، وهو يعتمد علة علوم كثيرة كالفلسفة وعلم الآثار لدعم رأيه في تفسير الواقعة التاريخية، ففي كتابه الظاهرة القرآنية يستند على البيولوجيا ليوضح مسألة الإلهام عند الرسول – صلى الله عليه وسلم– وفي شروط النهضة يستند على الفيلسوف الألماني "**ولترشورت**" في تحديد العامل الديني كمحرك أساسي لحركة التاريخ، أما الحتمية التاريخية التي يتحدث عنها الفلاسفة والمؤرخون فليس لها عند **مالك بن نبي** أصل ثابت، "إن الحتمية التاريخية لا وجود لها وبعبارة أدق فإن حتمية التاريخ تصبح في قيد الإنسان وتحت رقابته"، وهذا يعني أن **مالك بن نبي** يعتبر الإنسان مسؤول عن صنع التاريخ،[3] إضافة إلى المجتمع وكل ما يحيط بهما، فهو يسجل ذلك ويحدد عوامل الضعف والانحطاط وشروط القوة والازدهار لمجتمع معين في مرحلة معينة، كما يقوم بحفظ ذلك ونقله إلى جهات أخرى، وبذلك يكون للتاريخ دورة فله نقطة انطلاق ونقطة وصول وهذه الحركة التاريخية تنطلق من قاعدة مقررة في القرآن ومؤكد في العديد من البحوث والدراسات، عملا بقوله تعالى:<<إِنَّ الله لاَ يُغَيِرُ ماَ بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِرةُ مّا فيِ أَنْفُسِهِمْ>>، وهذه الدورة خالدة تخضع لها كل الحضارات.

1- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص27

2- جيلاني: مرجع سابق، ص27.

3- عويمر مولود: مالك بن نبي رجل الحضرة –مسيرته وعطائه الفكري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2007، ص- ص77-78.

لقد تعرض مالك بن نبي في كتبه إلى قضايا عديدة في مجال التاريخ، نذكر منها من التراث الإسلامي:(الحضارة الإسلامية، النهضة الحديثة، الحركات الإصلاحية، الحركات التحررية...)، ومن الحضارة الغربية: (الفكر الغربي، الإستشراق، الاستعمار...).[1]

المبحث الرابع: معتقدات مالك بن نبي وأقواله المأثورة

أ- معتقداته:

يمكن توضيح معتقدات **مالك بن نبي** من خلال عدة نقاط:

1- مدحه لمنهج السلف:

لقد كدح **ابن نبي** منهج السلف في كتبه، وثنائه عليهم وعلى منهجهم، وخاصة في اعتمادهم على القرآن الكريم والسنة، وهو يعتبر أن منهجهم هو الأساس الأول في إصلاح الأمة لأنه يرك الفكر والساعد، فهو أفضل ما في جعبة الحركة الإصلاحية في مجال تغيير ويعرف السلف ويمدحهم فيقول:<< ليس هناك أفضل من السلفية، التي هي العودة إلى الفكرة الأصلية في الإسلام فكرة السلف>>، وهو أيضا يحث ي حركة إصلاحية أن تتبع منهجهم بالعودة إلى المصدر الأول الذي عاد لهم السلف الصالح، ألا وهو القرآن والسنة ليؤديا دورهما العملي الحركي من جديد، بقوله:<< فلا بد من وجود المبدأ السلفي في عقول المصلحين، لأنه يواجه مشكلة الوظيفة الاجتماعية للدين، والمؤمن من يستفيد من مدرسة تلقنه مبادئ الرجوع للسلف>>.[2]

ويرى **مالك بن نبي** أن هذا التيار قد حظ طريقه في الضمير المسلم منذ عصر ابن تيمية الذي يقول عنه أنه لم يكن عالما كسائر الشيوخ ولا متصوفا كالغزالي، ولكن كان مجاهداً يدعوا إلى التجديد الروحي والاجتماعي في العالم الإسلامي ليكون بذلك مولد حركة الإصلاح التي وجدت منذ سقوط الدولة الوهابية الأولى أي منذ قرن تقريباً والذي ذكر أن من أهم رجالها كان جمال الدين الأفغاني محمد عبده.[3]

1- عويمر مولود: مالك بن نبي رجل الحضرة –مسيرته وعطائه الفكري،مرجع سابق، ص93.

2- العقبي حسن موسى محمد: مالك بن وموقفه من القضايا الفكرية والمعاصرة، مذكرة لنيل شهادة ماجستير تحت إشراف الدكتور صالح الرّقب، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005، ص43.

3- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 2000، ص49.

2- ذمه لعلم الكلام:

يرى **مالك بن نبي** أن كلمة علم الكلام سيصبح قدرا مسلطا على حركة الإصلاح، القدر الذي حاد بها جزئيا عن الطريق، حين حط من قيمة بعض مبادئها الرئيسية كمبادئ السلفية أي العودة إلى الفكرة الإعلامية في الإسلام، فكرة السلف فيرى بذلك أن علم الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس، إلا في ميدان العقيدة أو المبدأ، وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وليس هذا من شأن علم الكلام بل هو من شأن مناهج التصوف، أو بعبارة أدق من شأن علم لم يوضع له اسم بعد، ويمكن أن نسميه تجديد الصلة بالله.[1]

3- ذمه للبدع والخرافات:

حارب **مالك بن نبي** الخرافات والبدع التي تقوم بالدروشة، وعمل الأحجية والحرز وتعتمد علة وجود الشيخ والمريد وهو يَعُدُّ كل ذلك جهل لابد أن يحارب، وأن ينتهي من الواقع نهائيا، يقول **مالك بن نبي:**<< إن الجهل في حقيقته وثنية لأنه لا يغرس أفكاراً، بل ينصب أصناما، وهذا هو شأن الجاهلية فلم يكن من باب الصدفة، أن تكون الشعوب البدائية وثنية ساذجة، ولم يكن عجبا أن مر شعب عربي بتلك المرحلة حين شيد معبدا لأقطاب الدراويش...وهكذا كانت الجزائر على الرغم من إسلاميا تدين بالوثنية، التي قامت تصبها في الزوايا، هناك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لالتماس البركات...والجنة التي وعدها المريدون بلا كد ولا عمل، إلا ما يلتمسون من رضى الشيخ ودعواته>>.[2]

4- الإقرار:

لقد ركز **مالك بن نبي** أنه يتبع المنهج السلفي، وذلك بقوله أنه ينتهج نهج الوهابية ومعروف أن الوهابية حركة إصلاحية سلفية، تحاول الرجوع بالناس إلى إتباع طريق السابقين الأولين من الصحابة الكرام، فلقد كان ابن نبي يدرس عن هذه الحركة نظريا ولكن ما زاده رسوخا فيها؛ ما حدثته به أمه من أنها وجدت في الحج محفظة نقود فأرادت أن تسلمها لوكيل الفندق، حتى لا تضيع على الحاج، فقال لها كان من الأحسن تركها في مكانها

1- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص- ص53-54.

2- العقبي: مرجع سابق، ص- ص44-45.

ويعقب على هذه الحادثة بقوله:<< فقصة والدتي زادتني رسوخا في الوهابية وهابيتي>>، وكل الأحاديث التي كانت تروى له عن هذه الحركة كانت تزيد من قناعته الخاصة بالفكرة الوهابية فيقول:<< وأصبحت عقيدتنا الوهابية، أنا وزوجتي تزداد كل أسبوع يمر>>، ويعبر الوهابية منقذة العالم الإسلامي لأنها:<< الفكرة الإسلامية الوحيدة، التي تصلح لما فيها من طاقة متحركة، لتحرير العالم الإسلامي المنهار، منذ عهد ما بعد خلافة بغداد>>، لما فيها من تأكيد على الجانب العقائدي والأصول، وذلك المنهج هو ذاته منهج المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما ربىّ أصحابه في مكة المكرمة ليؤسسهم للمرحلة المقبلة وبذلك يتضح منهجه ومذهبه الإعتقادي.[1]

ب- أقواله المأثورة:

من أقوال **مالك بن نبي** والتي بقيت راسخة في الأذهان نجد:

- <<إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته>>.
- <<الحضارة لا تنبعث-كما هو ملاحظ- إلا بالعقيدة الدينية>>.
- <<الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر>>.[2]
- <<إن الحل الوحيد لمشكلة الحضارة منوط بتكوين الفرد الحامل لرسالته في التاريخ>>.
- <<أزمة العلم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل وإنما في الأفكار>>.[3]
- << عندما تغرب الفكرة يبزع الصنم>>.
- << إن الاستعمار ليس من عبث السياسيين ولا من أفعالهم، بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكن له في أرضا>>.
- << كل حقيقة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعي: الأشخاص، الأفكار، الأشياء هي حقيقة ميتة>>.
- << إن من الصعب أن نسمع شعب ثرثار الصوت الصامت لخطى الوقت الهارب>>.

1- العقبي: مرجع سابق ، ص45.

2- مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي،، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1986.

3- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص- ص86-115.

- << كل كلمة لا تحمل جنين نشاط معين، هي كلمة فراغة، كلمة ميتة، مدفونة في نوع من المقادير، نسميه: القاموس>>.[1]
- << لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار>>.
- << الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في<< الأفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر>>.[2]
- << إن الحل الوحيد لمشكلة الحضارة منوط بتكون الفرد الحامل لرسالته في التاريخ>>.
- << أزمة العلم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل وإنما في الأفكار>>.[3]
- << عندما تغرب الفكرة يبزغ الصنم>>.
- << إن الاستعمار ليس من عبث السياسيين ولا من أفعالهم، بل هو النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكن له في أرضها>>.
- << كل حقيقة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعي: الأشخاص، الأفكار، الأشياء هي حقيقة ميتة>>.
- << إن من الصعب أن نسمع شعب ثرثار الصوت الصامت لخطى الوقت الهارب>>.
- << كل كلمة لا تحمل جنين نشاط معين، هي كلمة فراغة، كلمة ميتة، مدفونة في نوع من المقادير، نسميه: القاموس>>.[4]
- << لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار>>.
- << العلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما يصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا، إذ يدور النقاش حينئذ لا لإيجاد حلول للمشكلات بل

للعثور على أدلة وبراهين>>.[5]

1-مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص- ص30-33-141-147.

2- المصدر نفسه، ص- ص21-55-56.

3- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص- ص86-115.

4- مالكبن نبي: شروط، مصدر سابق، ص- ص30-33-141-147.

5- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 1986، ص- ص37-43.

- << من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوي بتأثير جاذبية الأرض>>.
- << إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه باعتبار مصدرا للطاقة>>.[1]
- << ليست الديمقراطية إذن في أساسها عملية تسليم السلطات تقع بين طرفين معينين، بين ملك وشعب مثلا بل هي تكوين شعور وانفعالاتها ومقاييس ذاتية واجتماعية تشكل مجموعها الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية في ضمير الشعب، قبل أن ينص عليها أي دستور>>.
- << إشعاع الروح الديمقراطي الذي بثه الإسلام ينتهي في العالم الإسلامي عندما يفقد الفرد شعوره بقيمته وبقيمة الآخرين>>.[2]
- << إنَّ الجمال وجه الوطن في العالم فلنحفظ جمالنا كي نحفظ كرامتنا>>.[3]

1- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص- ص31-54.

2- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر المعاصر، لبيروت، ط2، 2002، ص- ص47-94.

3- بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص85.

خلاصة الفصل:

ذلك هو مالك بن نبي صاحب هذه الأقوال وصاحب الشخصية أكثر تأثيرا على الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة، ولأنه كان من العمق والاتساع بمكان، فإن أحدا لا يستطيع أن يوفيه حقه أو يدرك ملامح هذا التأثيرات أو يحيط بها.

ذلك هو مالك بن نبي المفكر الجزائري الذي يستحق منا دراسة واستقصار للاقتراب من جوانبه الشخصية والموضوعية، ومن تضاريس عصره وبيئته، في محيطها الضيق (الجزائر) والواسع (العربي الإسلامي) وحتى العالم الغربي.

أخياً يمكن القول أن حياة مالك بن نبي، كانت حياة كفاحٍ بالفكر والقلم، حيث كان مدرسة فكرية عملاقة، نشأ على منهاجه أجيالٌ في الجزائر وشتى أنحاء العالم العربي والإسلامي وفيما سواهما.

ترك بصمات عميقة في أوساط النخب الثقافية والعلمية مخلفاً ورائه مصطلحات ذات دلالة ووزن فالحضارة، الثقافة، الأفكار، القابلية للاستعمار، وهذا ما جعله يتميز عن غيره من الكتاب والمفكرين.

الفصل الثالث:

الشرق والغرب في مذكرات شاهد للقرن

المبحث الأول: عرض كتاب مذكرات شاهد للقرن

المبحث الثاني: الهدف من كتابه بن نبي مذكراته

المبحث الثالث: الشرق في مذكرات شاهد للقرن

المبحث الرابع: الغرب في مذكرات شاهد للقرن

المبحث الأول: عرض كتاب مذكرات شاهد للقرن

كتاب "مذكرات شاهد للقرن" للفيلسوف والمفكر الجزائري **مالك بن نبي:** صدر عام 1966 باللغة الفرنسية، يتألف من قسمين: القسم الأول بعنوان"الطفل"1905-1930 وهي سيرة ذاتية يروي فيها مالك بن نبي ذكريات طفولته والقسم الثاني بعنوان "الطالب" 1930- 1939 هذا القسم آثر **مالك بن نبي** أن بكتبه باللغة العربية ويصدره في بداية السبعينيات، بينما الجزء الأول "الطفل" فقد حمل **عمر مسقاوي** صديقة الإشراف على ترجمته وإصدار كتبه وهذا في وصية تركها له، قبل وفاته وقد أوكل **عمر مسقاوي** ترجمته للدكتور **النعنيعي** فترجمه إلى اللغة الفرنسية مرتكزاً بذلك على شيئين: الأول النص الأصلي المكتوب باللغة الفرنسية والثاني ترجمة **مروان فتوالي** التي أصدرها في الستينيات في شكل كتابين منفصلين، ثم جمعا القسمين في كتاب واحد بعنوان "مذكرات شاهد للقرن" هذا الكتاب الذي نقل لنا **مالك** من خلاله سيرته الشخصية، التي تحللها وقائع وحقائق تاريخية وسياسية وثقافية واجتماعية حدثت في الجزائر والعالم العربي، والعالم كله فكان فيها شاهد بصر بصيرة، شاهد بصر لأنه عايش وشاهد الأحداث التي نقلها لنا، وبصيرة من خلال رؤيته الفكرية الفلسفية وعمق تحليله وتفسيره للأحداث.

استهل الكاتب كتابه بتقديم خاص، هي مقدمة بقول عنها:<< ليست الغاية من هذه المقدمة، تقديم كتاب للقارئ كما هو مألوف وإنما أرادت أنكشف الظروف المثيرة التي ألقت إلى بهذه المخطوطة>>،[1] حيث يقول بأنه عند رجوعه إلى الجزائر سنة 1963 وعند أدائه لصلاة العصر في مسجد قسنطينة وأثناء سجوده في الركعة الثانية، تناهي إلى مسمعه وقع خطوات على السجادة وراءه، مقتربا منه شخصا ثم اِنسحب إلى الوراء لوهلة، وعند رفع رأسه من السجود التفت نحو اليمين فوجد على مقربة من ركبته ربطة حسنة التغليف، فأكمل صلاته ثم اِلتفت إلى الوراء ثم يمينا ويساراً فلم يجد سوى تلك الربطة التي فتحها فوجدها عبارة عن كتاب عنوانه "مذكرات شاهد للقرن" مكتوب بخط أكبر وحروف مستديرة،[2] فبدأ يقرأ الصفحة تلو داعيا مؤلف هذا الكتاب أن يتقبله القارئ <<على أنه أفكار جزائري أراد أن

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص13

2- المصدر نفسه، ص14.

يتحدث إليه من وراء حجاب محتفظا باسمه لنفسه>>[1]، فكان ذلك الحجاب متمثلا في شخصيته (الصديق) المولود بقسنطينة سنة 1905 من عائلة عايشت الحقبة الاستعمارية للبلاد بكل أحداثها في كل من قسنطينة وتبسة خاصة، كانت على رأسها الحاجة بابا معمرة أم جدة الصديق توفيت حين كان عمره 3 أو 4سنوات << أورثت العائلة الكثير من مشاهداتها وذكرياتها القديمة>>، وصلت إليه عن طريق ابنتها **الحاجة زليخة معمرة** هي الأخرى بارعة في قص الحكايا المتعلقة بالمستمر الفرنسي، فكانت المدرسة الأولى التي كونت مداركه.

وبينما كان في الثلاثين من عمره قام مع أصدقائه بعملية استبطان وكان على كل واحد منهم، الإجابة على السؤال التالي: **ما هو أهم حدث في حياتك ولم تنسه؟** هذا السؤال الذي أحيا في نفسه ذكريات ومحطات طفولته الزاخرة، بمجريات حقبة تاريخية عاشها في طفولته، خالدة في ذاكرته لا يمحورها زمن بل يؤرخها زمن بل يؤرخها تاريخ صادق خال من التزييف فالساسة والسابعة من عمره كانت مرحلة شديدة العسر على عائلته خاصة بعد هجرة الصديق اِبان الهجرة التي اجتازت العديد من مدن الجزائر تعبيراً عن رفضهم لمعايشة الاستعمار، وعدم قابليتهم له في هذه الفترة كان الصديق يعيش عند امرأة عمه بهيجة التي كفلته في قسنطينة، لكن وفاة زوجها وفقرها أرغمها على إرجاعه إلى أهله بتبسة، فيكون بذلك انتقل لا وسط آخر يختلف عن الوسط الذي عاش فيه في قسنطينة، لأب فقير دون عمل وأم تواسي عائلتها بعملها في الخياطة متحملة مسؤولية تعليمه، فقد اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسه بدل المال سريرها الخاص والذي كان يسمى السّدة، وبقساوة هذا العيش وبالرغم من صغر سنه إلا أن نباهته وذكائه الفطري أخذ به إلى عقد مقارنة بين العيش في قسنطينة ومعايشتهم للاستعمار، وتبسة التي تشكل دفاعاً ذاتيا ضد الاستعمار، مقارنة بقسنطينة التي اِستهوت حضوره إليها.

فقسنطينة حافظت على عاداتها وتقاليدها، كلباس البرنوس وأكل الكسكسي والطابع البدوي الذي على عدم وجود المستعمر في المنطقة ومع مرور الأيام تحصل الأب على عمل وأرسل الصديق إلى المدرسة الفرنسية، وفي الوقت نفسه كان مرغما من أبيه على الذهاب إلى المدرسة القرآنية، وكان غيابه عنها يفرضه لعقاب متواصل من الأب أو لتفوقه مع أبناء جيله

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق ، ص14.

في المدرسة الأوروبية، أتيحت له الدراسة في الصف الثالث مع أطفال أوروبيين على يد مدرسته **مدام بيل** التي كان يحبها كثيراً، وكانت تصرفات الصديق تنعم بطابع الهدوء والانتظام والتردّد الكثير على المسجد والمشاركة في صلاة الجمعة، وتمر الأيام وتتعاقب الأحداث وتندلع الحرب العالمية الأولى فيعود على إثرها حد الصديق لقسنطينة وها هي والدته تنتظره لتبشره باصطحابه والده له للذهاب إلى قسنطينة << فكان هذا حدثا مهما جاء يغير حياتي>>،[1]وبوصوله أعطى موقفا ايجابيا من الغرب من خلال وصفه للتكنولوجيا والتطور اللذان جاء بهما الاستعمار لقسنطينة قائلا"<< حين وقعت عيني على جسر القنطرة بأنواره الكهربائية بدا لي لأول وهلة كأنه من عمل الجان والعفاريت>>.[2]

<< لم أكن أعرف كيف أسير لكن لدقائق (الشارع الوطني National) الذي مشينا فيه أثارت انتباهي>>[3]، لدرجة أنه شبه قسنطينة بباريس وهؤلاء يعرفها، وهو يدل على استيطان المستعمر فيها فهم نقلوا حضارتهم إلى قسنطينة ليستعمروا ويستولون عليها.

وبوصوله إلى أمه (بهيجة) تعرف على جده (لخضر) الذي كان أحد رجال الإصلاح الجزائر فأطلعه على معالم المدينة، وعلى أحداث الحرب التي دخلت فيها تركيبا ألمانيا والنسا وغيرها من الوقائع والأحداث التي جرت في الغرب والعالم، وفضى (الصديق) فتة للاستطلاع والاستكشاف والانبهار من التطور الذي كان عليه المستعمر، فتأثر لذلك قائلا عند عودته إلى أهله <<فتركت قسنطينة، أمي **بهيجة** وجدي وكليه بأسى شديد ولكن حملت معي تلك الإقامة فائدة واحدة فالأمور بدأت تتصف في تفكيري وذاتي>>[4]، وتوالت الأحداث وأصبح الصديق قريبا من مجريات ومسرح الحرب العالمية الأولى فيتذكر أسماء شخصياتها أمثال: **(شارلروا –المارن الأردن– القردان)**.[5]

وكذا أحداث تاريخية مهمة منها تفكك الدولة العثمانية وسقوطها، حيث كان يتابع هذه الأخبار في نشرات عند البقال **(سي الشريف)**، وقد شهد الصديق أيضا وضع الحجر الأول لعصبة

1– مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، 15.

2– المصدر نفسه، ص16.

3– المصدر نفسه، ص30.

4– المصدر نفسه، ص31.

5– المصدر نفسه، ص32.

الأمم المتحدة، وكل هذا ساهم في تكوين رواية رأية رأى منها الحضارة الغربية والمستعمر في آن واحد في مجتمع عربي، ويكون بذلك محتكا بالغرب منذ نعومة أظافره.

وبالرغم من كل هذه الأحداث والأوضاع المزرية نجح وتفوق الصديق ونال شهادة الدروس الابتدائية ونحج في امتحان المنح، خطوة مهمة لتساعده في إكمال دراسته، لأن كان لها معنى كبير لطفل فقير من أبناء المستعمرات ليكمل بها المرحلة التكميلية حيث اِغترف العلم من **مسيو ماركان**، وقد تنبهت زوجة عمه إلى أن الصديق ليس بالطفل العادي بل إن تفكيره يفوق تفكير أبناء جيله وهذا من خلال قولها:<<ألا ترى أن ابن أخيك يتحدث جيداً بالقياس إلى من هم في سنه>>.[1]

وقد كانت 1912 نقطة تحول علمي بالنسبة للصديق إذ تعلم أول أسس الثقافة العربية من تصريف للأفعال وتمييز بينها وحفظ الشعر، وقرأ كتب كثيرة منها: التلميذ(La Disciple لـبيار بورجي)، هذه القصة التي يقول عنها مالك بن نبي <<فتحت أمامي عالم النفس الذي أتاح لعقل فتى كعقلي أن يتخلى عن شيء من أوهامه وسذاجته>>[2]، << وكان لهذا الاتجاه أن يأخذه إلى أبعد من ذلك، لولا دروس الشيخ **مولود بن موهوب** في التوحيد وسيرة النبي، وتلك التي للشيخ **بن العابد** في الفقه>>[3]،<< فقد كانت هذه مذكراً قوياً يعود بروحي إلى الطريق الصحيح>>.[4]

بالإضافة إلى الدروس التي قدمها له الشيخ **عبد المجيد** حيث كان يفسر له الوضع في الوطن، فكان يشغل فيه حماسة ليثور ذد المستعمر ومن الكتب التي تأثر بها وكانت داعمة لاتجاهه الفكري كتاب، << الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق، لأحد ما رضا وكتاب رسالة التوحيد **للشيخ محمد عبده** وأيضا كتب "**فاريوو لوني ولاماتين**"، "**واتو بريان**، كل هذه الكتب أسهمت في تصحيح مزاجه وأثارت فكرة لتفسير الظروف التي يعيشها الشرق خاصة، ومع مرور السنين، تشكلت لدى الصديق أفكار طالب جزائري مسلم ثائر يدافع عن

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص36.

2- المصدر نفسه، ص37.

3- المصدر نفسه، ص45.

4- المصدر نفسه، ص66.

وطنه، تعرف في تلك الفترة على بعض تلامذة الشيخ **ابن باديس**، حيث أدرك أنه ينتمي إلى هذه العائلة لمتابعتها أفكاره هذه الأخيرة ، تطورت وأصبحت فيما بعد حرة الإصلاح.

وبعد الحرب العالمية الأولى تطورت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمستعمر، وزاد استفحالهم في الأرض، فألقوا سمومهم فيها وأخرجوا الشباب من مجتمعهم وأرغموا على الانسلاخ عن عاداته وتقاليده، وقيمه الأخلاقية، وعلى اِثر هذه التغيرات ازدادت معاناة عائلة (الصديق) من فقر إلى عدم، وأخذت الأفكار تتأرجه به بين وضع حالي مزري للبلاد ومستقبل دراسي مجهول.

وقد كان لقاؤه مع الشيخ **عبد الحميد بن باديس** الذي قال عنه أنه عالم وطني، عالم ذو نفحة سياسية، هو وأتباعه الذين شكلوا تمهيداً تاريخيا، أضحى حركة تحديد من ناحية وحركة وطنية من ناحية أخرى، قد تشكل لديه التيار الفكري الباديسي، ضف إلى هذا قرائته لكتب **طاغور** التي كان لها الفضل الكبير في إطلاق ذهنية من قيود فرضتها المستعمر على أفكاره وأفكار الكثير من الجزائريين، وهذا باستغلال ورقة سحرية كما قال عنها المؤلف وهي: "المكتوب: هذه الورقة التي تعد أقوى من المستعمر ذاته بأنها تؤدي إلى الشيء الأخطر وهو القابلية للاستعمار<<فالحمل عادة يحمل احتراما وثنيا لكل ما هو مكتوب والجزائر يقابلها الاستعمار، والاستعمار كان لديها اعتقاد بخرافة ورقة المكتوب>>[1]، وعلى الرغم من ذلك واجه الاستعمار تمردا كبيراً ممن رفضوا القابلية والتعايش الاستعماري حيث وصل دوي هذا التمرد إلى الصحفيين الأمريكيين حيث كتبوا معلقا حول نتيجة هذا الصراع معلقين:<< لقد خرجت فرنسا منتصرة إلاّ أن المجد الحقيقي بقي في الريف>>[2].

وبذلك شكل هؤلاء الأبطال جمهورية ريفية أكدت أن فرنسا إمبراطورية استعمارية يمكن النيل منها.

ومر الوقت وكبر (الصديق) وأصبح هاجس ما بعد التخرج يؤرقه هذا الهاجس الذي فعللا صادفه مباشرة بعد تخرجه حيث وجد الأبواب موصدة في وجهه ولم تتمكن الجزائر من توفير عمل له.

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص106.

2- المصدر نفسه، ص121.

مما عقد العزم على إقناع صديق له **(قاواو)** بمشروع ذهابهما إلى فرنسا بهدف الحصول على عمل، وبذلك دبَّرا أمور سفرهما واتجها نحو طاحونة (كاوكي) في وادي الرّمل، ولم يتجاوز عمرهما 20 سنة وبإيجار السفينة شَعرَ الصديق وكأن العالم يفتح أمامه بعدما أوصدة الجزائر الأبواب في وجهه، وبوصولهما إلى مرسيليا رفقت أشخاص تعرفوا عليهم في السفينة، اضطر الصديق لبيع معطفه بثلث ثمنه للسفر إلى ليون، لتوفر العمل فيها مقارنة بمرسيليا ، لكن أصيبا بخيبة أمل، فاليهودي والأوروبيون وجدوا عملا والصديق وقاواو بقيا في الشارع يهُومان بحثا عن عمل لكن دون جدوى، وحتى العمل الذي وجداه بعد أيام في صنع الإسمنت اضطر الصديق لتركه والرّجوع إلى باريس، حيث قدم له رئيس مصنع **(نيكولا)** للبيرة عملا على الرصيف الفارغ لكن كل ذلك أدّى بالصديق أن يفقد صيره ويرسل نداء استغاثة لأهله بأن يرسلوا له ثمن العودة إلى الجزائر، وبهذا يكون السبب الذي دفع به إلى الرحيل هو من دفع به إلى العودة، وبعودته وجد حرب الريف ما تزال ملتهبة ومنابر المسجد في نداء للحرب ضد الثائرين، فشارك الصديق فيها بقلمه وذلك بكتابته مخطوطات أثارت ذلك الوقت دوي في الإدارة الاستعمارية، وقد قبل وظيفة عدل في المحكمة الشرعية "أفلو"، هذه القرية التي احتضنته بكل حب وعطف واستقبلته بجو ذكرها وبعاداتها وتقاليدها، لكن لم بمضي وقت طويل على إقامته فيها، حتى أحيل إلى (شاتودان) هذه الأخيرة تختلف عن أفلو حيث اجتاحها المستعمر الفرنسي واستولى على خيراتها وأصبح سيداً فيها.

بعدها استقالة (الصديق) من منصب عدل، وما هي فكرة السفر تراوده من جديد خاصة بعد قراءته لكتاب "السفر ضرب من الموت" [1]وقد شجعه على ذلك والدته، وهكذا أقلته الباخرة بعد ثلاثة أيام إلى عنابة (BONE) للاتجاه إلى باريس.[2]

القسم الثاني الطالب 1930-1939

هي سيرة **مالك بن نبي** الطالب في فترة ما بين 1930-1939 هذه الحقبة الزمنية القصيرة مقارنة بسابقتها إلا أنها لا تخلو من الأحداث والوقائع المهمة سواءاً على الصعيد

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص195.

2- المصدر نفسه، ص196.

الشخصي لمالك بن نبي أو بالنسبة للوطن والعالم لما أتاحه من تاريخ لشاهد عايش في هذه الحقبة، وقد بدأها بمقدمة لا تختلف عن المقدمة التي بدأتها في القسم الأول لمذكرات مالك بن نبي الطفل، حيث فسر لنا الظروف الغريبة التي أوقعت في يده هذه القصة الخيالية التي حدثت له بمدينة قسنطينة أثناء أدائه الصلاة وكيف ساق له القدر هذا الكتاب، حيث قال أن أثناء تصفحه للكتاب وجد أمراً عربيا، وهو قول مؤلف الكتاب...إن كل جزائري يتناول القلم يستطيع كتابه مثله شريطة أن يكون من الجبل الذي أن منه،[1]وطلب أن يتقبل القارئ هذا الكتاب من جزائري أراد أن يخاطبه من وراء حجاب.

في سبتمبر عام 1930 نزل الصديق بمحطة ليون بباريس لكن هذه المرة تختلف عن سابقتها مع صديقه **قاواو** حيث جاء إلى فرنسا طالب للعلم وليس طالب للعمل وقرر وعزم أن لا يعود إلى الوراء كسابقتها وبوصوله إلى الفندق كانت بزته الخارجية من الذوق المألوف بلونها المشرق توحي على أنه أحد النزلاء المشحونين بالدولارات كالأرجنتينيين والبرازيليين مما جعل منه في نظر بنات السوء زبونا، حيث قال:<< هكذا اِستقبلتني باري، بوجه بناتها الطائشات الكاسيات العاريات...لكن لباريس وجوه أخرى لا يكشفها المرء عند نزوله>>[2]، وكانت أول خطوة به بباريس هي تسجيله في اِمتحان معهد الدّراسات الشرقية، وبينما كان ينتظر فصول هذا الامتحان كان الصديق يتعرف على الوسط الذي هو خير عليه وسيرد حياته فيه وكيفية انضمامه إلى :الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين" بهوية عربي جزائري مسلم، وكانت أول فاجعة وصدمة يتلقاها في باريس هي رسوبه في اِمتحان دخول معهد الدراسات الشرقية، حيث اِستدعاه مدير المعهد وبينَّ له حقيقة رسوبه بكل صراحة قائلا:<<إن دخول لمعهد الدراسات الشرقية–لا يخضع– بالنسبة لمسلم جزائري– لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي>>[3]، وبذلك لم تتحدّد آمال الصّديق فحسب بل آمال والديه أيضا، لكن لم يكن ذلك آخر مغامرة له بل تلاها نجاحه في الدخول إلى المعهد الآسلكي الذي اعتبره باب من أبواب دخوله الحضارة الغربية والاحتكاك بها، ولم تكن الجزائر بعيدة عن ذاكرته إذ ريقي الرّابط الرّوحي بصلة بها ومازال يعبر عن أفكاره الاصطلاحي والوطنية ويجهر بها من خلال الأحداث اليومية التي

1– مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص200.

2– المصدر نفسه، ص204.

3– المصدر نفسه، ص116.

يعيشها في الحي الاتيني، فقد دعى للاصطلاح والوهابية والوحدة المغربية وكلها شعارات تصيب في معنى واحد ووحيد هو الإسلام، وقد ساهم ذلك في ذلك في نمو تفكيره وحسه السياسي تأثر أيضا بمعرض المستعمرات الذي أساء بدوره إلى البلدان المستعمرة وأبناءها والإسلام خاصة حيث عرض فيه كتاب عنوانه (الرّسائل الجزائرية)، تناول فيه صاحبه المحامي الجزائر لدى محاكم باريس عادات وتقاليد الإسلام بنقد فيه تشويه وتشنيع وأصبح هذا العرض الشغل الشاغل له ليلاحظ ويتأمل كل ما جرى في المعرض، وتوالت الأحداث إلى أن وصل حمود بن الساعي الذي توافقت أفكاره مع الصديق خاصة فيها يخص دور الإسلام في النهوض بالشعوب الإسلامية لأسرته وقضي بذلك عطلة سعيدة في أحضان أسرته وانفصالها عاد إلى باريس مرّة أخرى، لكن هذه المرّة ويعرفه على أم زوجته وهنا نعرّف بالمقابر على الوجه الحقيقي لفرنسا، لم يعرفه من قبل حيث قال:<< لم يكن ممكنا بباريس التعرف على هذا الوجه الحقيقي للحياة الفرنسية، وهذه هي المرّة الأولى التي أتعرف فيها عليه>>[1]، وتواصلت حياة الصديق بين ذهاب وإياب على الجزائر وفرنسا وفي كل رحلة له كان يكتشف التغيرات الحاصلة في البلاد، سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي ومراقبة لتغلغل المستعمر وسيطرته على المدن الكبرى للوطن ومدى تأثيره عليها، مقارنة بالقرى والرّحل الذين حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم مقارنة بهم، فقسنطينة وعناية تختلفان عن تبسة وضواحيها في تلك الحقبة، وبالمقابل يكشف لنا وجهين للاستعمار وجه مستعمر ظالم مستبد قاتل ووجهه حضاري متطور متأدب، لكنه كان مهتما بما يجري في فرنسا، حيث كانت تصلهم أخبار الوطن عن طريق الصحافة الجزائرية (الدفاع، جريدة الأمن) وغيرها من الصحف.

وفي يوم من الأيام طلبت والدة الصديق منه الحضور مع زوجته وعند وصوله تلقى صدمة وفاتها، مما أثر في نفسيه طول تلك الفترة التي قضاها في تبسة إلى أن عاد إلى باريس وهو حامل لحزنه معه، ففكر بالهجرة إلى الحجاز للاستقرار بالطائف فطلب جواز سفر، وفي سنة 1931 قرّر الصديق الزواج من فرنسية أدخلها الإسلام وسماها **خديجة** والتي لعبت دور كبير في اكتشافه للوجه الثاني للمستعمر، وفي الوقت ذاته أكمل مزاولة نشاطه مع **حمود بن**

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص265.

الساعي من إلقاء للمحاضرات وتوعية للطلاب، وقد كانت محاضرة الصديق الحاملة لعنوان "لماذا نحن مسلمون"، لها صدى كبير حيث أطلق عليه **محمد القاسي راسم** ربيع الوحدة المغربية، وقد عادت هذه المواقف السياسية بالسلب على عائلة الصديق فقد أقيل والده من منصبه مما اضطره إلى ترك المنصب الجديد لدى المسافة عن زوجته المريضة وبذلك رجوع العائلة إلى المعاني كما في السابق، لكن هذه المحنة التي أصابت عائلته لم تزده إلاّ تصلبا وتحدّيا ومواصلة لنشاطه السياسي خاصة مع سطوع نجم **(مصالي الحاج)** وظهور وانشغاله باللقاءات السرية التي كان يحضرها رفقة الزعيم ليقرر مصير (نجم شمال لإفريقيا) وكذا النظر في تشكيل جمعية (الوحدة العربية) التي أصبح الصديق يمثل الجزائر فيها، وتوالت الاجتماعات والمناقشات وتنوعت مجالاتها من عملية وسياسية ودينية واجتماعية وكانت أغلبها تدور حول محور الإسلام لأن **حمود بن الساعي** كانت له اهتمامات في هذا الميدان حيث ألقى هذا الأخير محاضرة لقيت الأنظار تحت عنوان (القرآن والسياسة) حضرها الصديق في 1932 قبل العودة إلى تبسة التي عاد إليها بعد تسجيله تخصص الكهرباء والميكانيك، وكانت هذه العودة يتخللها هم كبير يتمثل في الظروف التي آلة إليها أسرته وعن كيفية اِخبارهم بزواجه من خديجة لكن المهم الأول قد زال بمجرد سرد يظهر عليه كيفية مساعدته لعائلته وإخراجها من الأزمة، وبهذا يفضِل زواجه غير معلن له ولزوجته وعاد إلى الجزائر ويعد من الزمن راسلته زوجته **خديجة** وبشرته بوصول الجوازين، فعاد إلى باريس وأخذهما إلى السفارة المصرية في باريس ليأخذ التأشيرة للسفر إلى مصيرهم إلى الحجاز لكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة حين اِستقبله فتصل فتتصل مصر بباريس وجوازات السفر أمامه على مكتبه وراح يسأله، أتريد السفر إلى مصر؟ هذا السؤال الذي حمل إليه في طياته الإجابة قائلا:<< إن الاستعمار يستطيع أن يمسك في بعض الحالات بمظاهر المشروعية لأن خونة من بين العرب ومن بين المسلمين يتولون الأمر...>>[1]، وتلاه أيضا رفض ايطاليا لطلبه للعمل، ورفض ملفه حجّة عدم توفر الشروط للدّخول في امتحان تجربته وزارة الدّفاع من أجل اختبار بعض اختصاصي الحساب لقسم الهندسة.

وفي سنة 1938 عاد إلى الجزائر وكان فضوله قائما على أن يتجسس نتائج الأحداث التي أثرت في اِنهيار المؤتمر الجزائري الإسلامي بعد قتل كل من (بن مكحول) واغتيال

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن،مصدر سابق، ص353.

الشيخ الطيب مما أثر على الجزائريين وإعلان البعض منهم عضويته في حزب الاشتراك الفرنسي وهذا ما أطلق في نفسه صراخ الخيانة والحصرة ووحدة في التطورات السياسية والاقتصادية وخاصة العسكرية في العالم التي كانت كلها تنبئ باندلاع الحرب العالمية الثانية متنفسا وخلاصا للشعوب المستعمرة، وعشية اندلاع الحرب العالمية الثانية شعر الصديق أنه لم يبق له لا ناقة ولا جمل في هذا البلد فنشر مقالة لا مع الفاشية ولا مع الشيطانية "وفي يوم 1939/09/22 من ميناء عنابة سافر الصديق هو وزوجته وهزتها والسلحفاة التي أهدتها أم أحمد لها نحو فرنسا، وعند اِبتعاد الباخرة عن الميناء وحد الصديق نفسه متكئا على حافة الباخرة يقول: بار أصار عقوقا!...تطعمين الأجنبي و وتتركين أبنائك للجوع، إني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرّة!...[1]

1- مالك بن نبي: مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، مصدر سابق، ص428.

المبحث الثاني: الهدف من كتابة بن نبي مذكراته

يختلف هدف **مالك بن نبي** في كتابته لمذكراته عن المؤلفين الذين سبقوه إلى ذلك، فمذكرات شاهد للقرن ليست الغاية يسنها: بث سيرته الشخصية وتقديم نفسه للقارئ بل تعدت ذلك إل أغراض أسمى وأهداف أنبل ينفرد بها هذا الفكر والفيلسوف عن باقي الكتاب حيث يقول:<< ربّما يعجب هنا أولئك المثقفون الذين أصبحوا لا يدركون لغة الشعب الجزائري المسلم، لأني لا أكتب هذه المذكرات من أجلهم ولكن للشعب عندما يستطيع قراءة تاريخية الصحيح أي عندما تنقضي تلك الخرافات التي تعرض أفلاما كاذبة والتي سيكون مصيرها في صندوق المهملات>>.[1]

وبذلك كتاب هذه المذكرات **لمالك بن نبي** خص بها الشعب الجزائري وقدمها له ليطلع من خلاله على تاريخه الصحيح والحقيقي الخيالي من التزييف والتزوير خلال حقبة زمنية تعد حقبة تاريخية لما فيها من صراعات وأحداث ووقائع هامة اِنعكست على المجتمع الجزائري والوطن العربي، فكان فيها مالك بن نبي شاهد لها ومبلغ ومؤرخ لها بجميع مجرياتها، وبأدق تفاصيلها على جميع الأصعدة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ويعد بذلك مصدراً أمينا يغترب منه شعب بقراءة تاريخه الصحيح، ليس هذا فحسب بل قدم لنا أيضا من خلال مذكراته مكونات فكره الفلسفي العلمي والتقني والهاجس الذي رافقه طيلة حياته وهو هاجس الحضارة ومشكلاتها لعالم مقسم إلى قسمين شرق، متخلف يعيش تحت وطأة الاستعمار واستبداده، أودت قابليته للاستعمار إلى الانحطاط وغرب متقدم متطور يعيش في ظل نعيم الشعوب المستعمرة وبهذا كان الهدف الآخر لمالك بن نبي محاولة تأصيل كره وإيصاله للقارئ بغية النهوض بحضارة أمتنا والابتعاد عن كل التحليلات التي تحول دون ذلك.

1- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص288.

المبحث الثالث: الشرق في مذكرات شاهد للقرن

تجسّد الشرق في مذكرات **مالك بن نبي** من خلال مدينتي تبسة(*) وقسنطينة التي ولد فيها، فقد بقي فيها بعد ولادته مع مربيته **بهيجة** وزوجها، إلى أن إعادته إلى أهله وهو في حوالي السادسة من العمر السادسة من العمر،[1] واستمر مع والديه في تبسة عدا زيارات قصيرة إلى قسنطينة،[2] إلى أن انتقل إليها لإتمام دراسته بها،[3] بعد تجاوزه المرحلة الابتدائية وظل بها إلى أن أكمل تعليمه في المدرسة التي اِلتحق بها.

وقد كان في تلك الفترة يقضي اِجازته عند والديه في تبسة،[4] مما جعله على صلة دائمة بها، ومتابعة لتطورّاتها وما يجد فيها من أحداث، وهي أقرب إلى القرية منها إلى المدينة وذلك من حيث أسلوب الحياة وطبيعتها فهي مجاورة للصحراء من جهة وللقبائل البدوية من جهة أخرى، مما جعلها أقرب إلى البداوة، كانت:<< محاطة بسور قديم مبني على غير نسق، أيام تأسيس المدينة على وقت الرومان، ثم أضيف إليها أيام الحقبة العربية خارج السور حي الزّاوية وسكانه من قبيلة اللمامشة وأولاد سيدي يحي، وهم أشبه بالبدو والرّحل، وقد كانت إقامتهم خارج المدينة بسبب مواشيهم وفي داخل البلد كانت مواشي الأهالي يبدو أثرها واضحاً في المساء عند عودتها من المراعي.

وفي العهد الاستعماري أضيف إلى المدينة حي إداري، يسكنه موظفو الإدارة من المدرسين وعمال البريد وأصحاب الجمارك،[5] وقد كانت هذه المدينة تتميز عن المدن الأخرى التي تمكن منها الاستعمار يأتي:

1- لم يكن الإحساس فيها بالحضور الاستعماري كغيرها من المدن الأخرى وذلك لسببن:

(*)- تبسَّة: هي مدينة قديمة بناها البربر، وقد كانت قاعة حربية للدول البربرية قبل الإسلام، تقع في شرق القطر الجزائري، إلى الجنوب الشرقي من مدينة قسنطينة بالقرب من الحدود التونسية والصحراء.

1 مالك بن نبي: مصدر سابق، ص12.

2- المصدر نفسه، ص14.

3- المصدر نفسه، ص20.

4- المصدر نفسه، ص20

5- المصدر نفسه، ص21.

* **الأول:** طبيعة الأرض القاحلة في تبسة بحيث لا تستجلب الرّجل المستعمر.

* **الثاني:** جوار العشائر البدوية التي جعلته يتطبع إلى حدّ ما بالطابع البدوي القبائلي.

2- سلامة المجتمع من التغير في المجال الاجتماعي والأخلاقي بسبب ضعف الضغط الاستعماري إلى جانب تحصن الناس بعوائدهم السليمة التي تمنعهم من التصعلك.(*)

لذا اعتبر **مالك بن نبي** أن تبسة نجت <<من تسلط الواقع الاستعماري الذي يسمى فيما بعد (الحضور الفرنسي)، وهذا ناتج من أجل طبيعة المنطقة تشكل نوعا من الدفاع الذاتي ضد الأوروبيين>>.[1]

ذلك أن ترتيبها لم يكن فيها ما يستهوي المعمر الأوروبي<<ففيها كنت ترى الدركي وبوليس الجمرك سايحين في محيط من لابسي البرانس، خاصة في الأيام التي تقام فيها الأسواق>>.[2]

ولم تكن النظم التقليدية لهذه المنطقة تفسح المجال كثيراً كما هو الحال في الحواضر الكبرى-للمؤثرات الأخلاقية والاجتماعية الناتجة عن الوجود الاستعماري، فالسكان في تبسة لم يتخلوا عن فضائلهم وتقاليدهم<< فلا يزال طعامهم الشائع الكسكسي والفطائر وشرابهم الماء الفراح>>[3]، وذلك على غرار مدينة قسنطينة التي كانت تعين في تلك الفترة سيطرة استعمارية خانقة وحرمانا كاملا من كافة حقوق الإنسان الأساسية، واستبداداً طاغيا، وتحكما مطلقا في كل مقدرات الشعب القسنطيني السياسية والاقتصادية والثقافية، والدينية والفكرية وكانت الصورة العامة للسياسة الفرنسية في قسنطينة تتمثل في الخطوط التالية:

أولا- الفرنسية: وذلك من خلال إذابة الشخصية الجزائرية وإدماجها في فرنسا من حيث الدولة وسكانها، من خلال فرنسة سائر مظاهر الحياة الجزائرية.

لدرجة تشبه مالك بن نبي قسنطينة بباريس<<وباختصار فإنني أتصور أن فلاحاً صغيراً يلأتي من الريف إلى باريس في الليل لم ليكن ليختلف انطباعه عما استولى على نفسي في

(*)- التصعلك: صعلك، أفقر والصعلوك: الفقير والتصعلك هنا: الفقر الأخلاقي.

1- مالك بن نبي: مصدر سابق، ص20.

2- المصدر نفسه، 21.

3- المصدر نفسه، ص21.

تلك الساعة>>[1]، فقد نقل الغرب لنا حضارته ليستولي على أراضيه وعقولنا تتعايش معه في حضارة انصهر فيها مالك وهو طفل صغير قائلا:<< خرجنا أنا وأبي سراً على أقدامنا من المحطة، وحين وقعت عيني على حسر القنطرة بأنواره الكهربائية بدالي لأول وهلة كأنه من عمل الجان والعفاريت>>[2]، ولقوله أيضا:<< لم أكن أعرف كيف أسير لكن دقائق (الشارع الوطني National) الذي مشينا فيه أثارت اِنتباهي وكذلك خيول العربات القادمة من المحطة تحمل المسافرين تضرب إيقاعاً بحوافرها على البلاط الصلب للطريق: لقد أخذتني هذه الضجة في الواقع إلى صورة تختلف عن أختها في تبسة>>.[3]

وقد تجلت أيضا فرنسية مظاهر الحياة الجزائرية في التأثير على شبابها من ناحية تفكيره ولباسه<<فولده عمي محمود ترك السروال ولبس البنطال الطويل وربطه العنق، ثم جاء بشيء في قسنطينة مع عدد من أصدقائه جمعية هواة الموسيقى>>[4]، وذلك لغرض تشويه التراث العربي الإسلامي، ومحاولة القضاء عليه من خلال محو تاريخ الجزائر وصناعة تاريخه عليه، وقد أدىّ ذلك إلى اِستغراب ونوع من الغموض لدى **بن نبي** حيث كان

<< يصادق من آن لآخر جزائري يسوق أمامه حماراً، ذاهبا على الأرجح إلى كوخه وكنت أدرك شيء من الغموض كيف يعمل هذا المعمر الفرنسي على محو تاريخ هذا الرجل ليضع عليه تاريخه>>.[5]

ثانيا- التجهيل: وتمثل في محاولة إطفاء نور العلم في البلاد حيث أخمد الاحتلال الفرنسي جذوة العلوم والمعارف تحت أنقاض المساجد والكتاتيب، والزوايا التي دمرها قلم يبقى منها سوى جمرات ضئيلة في بعض الكتاتيب حافظت على لغة القرآن ومبادئ الدين الحنيف واستخدمت بدلا منها المدارس الفرنسية لتثبيت سياستها وتنفيذها ونشر النصرانية والقضاء على الإسلام، <<لقد جعلوا عقليتهم حتى تعابيرهم تسهم في تكوين فريق من التلاميذ الأطفال من أبناء الجزائريين>>.[6]

1- المصدر نفسه ، ص32.
2- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص31.
3- المصدر نفسه، ص31.
4- المصدر نفسه، 35.
5- المصدر نفسه، ص119.
6- المصدر نفسه، ص53.

ثالثا- الإفقار: عمل الاحتلال منذ دخوله على سلب ما في الجزائريين من أموال وعقار وفرض عقبات في ضروب نشاطهم الزراعي والصناعي والتجاري.

وقد زادت حدّة هذا الفقر خاصة بعد الحلاب العالمية الأولى، حيث اِزدادت معانات الشعب من فقر إلى عدم، وازدادت قيود المستعمر التي فرضها على الشعب الجزائري خاصة استغلاله لورقة سخرية كما قال عنها مالك بن نبي "وحي المكتوب" هذه الورقة التي تعد أقوى من المستعمر ذاته لأنها تؤدي إلى الشيء الأخطر وهو القابلية للاستعمار<< فالجهل عادة يحمل احتراماً وثنيا لكل ما هو مكتوب والجزائر بقابليتها للاستعمار وبالاستعمار كان لديها اعتقاداً لخرافة ورقة المكتوب>>.[1]

كثيراً ما يتردد عند **مالك بن نبي** مصطلح "القابلية للاستعمار" ويرى سبب من الأسباب التي أدت إلى التراجع والتقهقر الحضاري.

لأن الإنسان فقد روح المقاومة مما سها اِنغماس وتجذر الاستعمار في البلاد العربية، إنه حسب **مالك** مرض أصابنا نتيجة استعدادنا لاستقباله، بل هو في مكونات ذلك الاستعداد والدّليل على ذلك بسيط يقدمه لنا الواقع المؤلم اليوم.

<< وهو أن الاستعمار غادر هذه المساحة من الأوطان، إلا أننا مازلنا نشعر أن الأوضاع الخلقية أو الثقافية أو الإنسانية قد تغيرت بطريقة جوهرية، إننا مازلنا نشعر أو الأوضاع الخلقية أو الثقافية أو الإنسانية قد تغيرت بطريقة جوهرية، إننا مازلنا نعانيه، فالمرض مازال متفشي>>.[2]

وعلى إثر معايشة بن نبي للشرق الجزائري عرف الوجه الأول لفرنسا "كاستعمار" غاشم، ظالم مستبد ويبقى اِكتشافه للوجه الآخر لفرنسا بمعايشته الغرب في الفترة 1930-1939 وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر القادم.

1- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص102.

2- مالك بن نبي: مجالس دمشق، ط1، دمشق، 2005، ص- ص52-53.

المبحث الرابع: الغرب في مذكرات شاهد للقرن

تجسد الغرب في مذكرات بن نبي من خلال معايشته لفرنسا خلال رحلته الثانية إلى باريس لمتابعة دروسه بعدما سدت جميع الأبواب والسبل في وجهه في الجزائر، قائلاً:<<وجدت نفسي أقول وأنا متكئ على حافة الباخرة: يا أرضً عقوقاً!...تطعمين الأجنبي وتتركين أبنائك للجوع، إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة!...>>.[1]

ترك بن نبي الوطن والوالدين والإخوة والخلان والجيران وتبسة والشرق الجزائري والجزائر برمتها تحت وطأة الاستعمار الفرنسي.

<< وإنما الشيء الوحيد الذي قررته هو أنني لن أعود هذه المرة إلى الوراء مثلما عدة في المرة الأخيرة، بعد النكسة التي أصابتني مع رفيقي (قواو) في صيف 1925م>>.[2]

<< وقد استقبلتني باريس بوجه بناتها الكاسيات العاريات العارضات لزينتهن وعرضهن دون أي شعورٍ بالإثم>>.[3]

و<<لا كن لباريس وجوه أخرى لا يكتشفها المرء عند نزوله، وقد كانت تجولاتي الأولى مجرد محاولات غير جريئة للتعرف عليها في العالم الجديد الذي أصبحت فيه...>>.[4]

لكنه لم يكن ينظر إلى وضعه الجديد بعين الإنسان العادي بل بعين ثاقبة لأن باريس ليست فقط طيشا وفسقا وخمراً بل لها وجهها الروحي المسيحي والحضاري العلمي...، ولقد بدأت ملاحظته عن الحياة الفرنسية خلال رحلته الثانية الشيء <<الذي لم يتح لي أثناء إقامتي الخاطفة في صيف 1925م إنني آخذ هذه المرة من الوقت ما يكفيني لتمعن في الأشياء والتدقيق في تفاصيلها>>.

حيث ساقته جولاته الاستطلاعية والاستكشافية<<ذات يوم إلى متحف الفنون والصناعات بقرب باب(ساندونيس)، حيث وقفت تلك العشية أفكر لأول مرة في الجوانب التكنولوجية

1- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص191.

2- المصدر نفسه، ص 203.

3- المصدر نفسه، ص 204.

4- المصدر نفسه، ص204.

للحضارة وأنا أشاهد بين روائع المتحف، القاطرة الأولى التي تحركت بالطاقة البخارية والطائرة التي عبر عليها "بليرو يو" بحر المانش.

ولقد دخل الحضارة الغربية من باب (وحدة الشبان المسيحيين البارسيين).[1]

حيث أصبح <<عضوا مسلماً في (الوحدة المسيحية)، وما كان لأمر كهذا أن يكون عادياً في سجلات المنظمة>>.[2]

حيث وجد في الانضمام إليه دفئا من الأمان كمظهر من مظاهر الفاعلية الغربية، تلك الفاعلية التي ضاق من قبلُ مرارتها في رحلته الأولى كمجرد عامل في وقوفه في الصف الطويل للعمل في ليون أو باريس، ومارسيليا كما روى في مذكرات.

وأصبح ابن النبي يتردد على<< متحف الصناعات والحدود ولكن بنظرة جديدة للأشياء لذلك لم يصبح المتحف مجرد مكان جمعت فيه غرائب وعجائب ما أنتجه الفن والصناعة، ولكنه المستودع المقدس إلي أودعت فيه هذه الحضارة، أعلى ما أنتجته عبقريتها العلمية والتكنولوجية بوصفها شهادات أمام التاريخ على مراحلها المختلفة>>.[3]

فلم يعد لابن النبي من حلم سوى << تحصيل العلم بلهفة من يرى كل الناس وطنه وفي المجتمع الإسلامي من جهل وأصناف الانحطاط، ولا يمكن لأحد أن يكون كبش فداء لقوم، دون أن يتصور بطريقة ما أنه المبعوث المنقذ المبعوث إليهم >>.[4]

فكر مالك بتحصين نفسه في المجتمع الفرنسي والحضاري من خطر العزوبة في ذلك المجتمع لأن:<<باريس مدينة تخشى عواقبها، فبدأت أفكر كيف أحصن نفسي من مغرياتها وذات يوم–وأنا في غرفتي أمام النافذة– إذ انطلق من أعماقي دعاء وتضرع إلى الله ...>>.[5]

1– مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، 205.

2– المصدر نفسه، ص219.

3– المصدر نفسه، 210.

4– المصدر نفسه، ص219.

5– المصدر نفسه، 220.

وفي يوم الجمعة من عام 1931م وقد ولى الله الأمر<< فهداني إلى زوجي وهداها هي، فيمت نفسها خديجة>>.[1]

وقد كان لتلك الزوجة أثر عظيم في تكوينه الفكري، ولا سيما في الجانب التطبيقي للأفكار الحضارية التي يمر بها في المدرسة من خلال الكتب، ولقد كان اقترابه وتعرفه على الوجه حقيقي والثاني الفرنسي من خلال تعرفه على الجيش الفرنسي، بعد أن عادت خديجة معه من الجزائر، اقترحت عليه أن تعرفه<<على أمها الأرملة التي توفي زوجها أثناء الحرب في معركة (فيردان) والتي تزوجت بمدينة (دروكس) على بعد ثمانين كلم من باريس، فكانت الفرصة ثمينة جداً بالنسبة لبن النبي،<<لأن الذي يعرف التاريخ فكان يعرف فرنسا ذات الوجه الملمع المهيأ الذي مرّ بكل عمليات التجميل بشوارعها المتقنة التبليط، وأصبحت مقاهيها مكتظة في النهار والليل، وقارها الجوفي (المترو) الذي ينقل تلك الجحود تلك الحشود من البشر ممن لا يعرف فيها الواحد اسم الآخر>>.[2]

<إن هذه الحياة المضطربة المصطنعة لا تعطي صورة صحيحة عن صورة حقيقية لفرنسا وإنما تعطي صورة بنماذجها الأصيلة وأصولها البعيدة كالريف في الطبيعة حيث كونت صفة الإنسان بالتراب عل مدى القرون>>.[3]

وقد لاحظ الفوارق بين الناس في العاصمة، وأصحاب الريف –من الملبس، القروي لا يهتم بالأناقة كصاحب المدينة، فالمصلحة لديه أهم من المظهر، ولذا فملابسه يراه فيها جانب الراحة أكثر، وبالإضافة إلى الملبس فأثر الصحة بانٍ في وجوه القرويين، نظراً لإقامتهم في الريف من حيث لخُضرة والهواء الطلق>>.[4]

1- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص236.

2- المصدر نفسه، ص236.

3- المصدر نفسه، ص268.

4- المصدر نفسه، ص268.

ويعلق عن ذلك قائلاً:<< لم يكن ممكناً بباريس التعرف على هذا الوجه الحقيقي للحياة الفرنسية، وهذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها عليه، وبقدر ما سيزيد اكتشافي، أرى الملامح التي أوحت إلى (سولى)(*) وزير هنري(**) الرابع في أوائل القرن السابع عشر، ذلك الشعار الذي وضعه أساسا لسياسته، إن الحراسة والمرعى:<<هما الضرعان اللذان تحلبهما فرنسا، واليوم أدرك تمام الإدراك، أنهما الضلعان اللذان وضعهما عنصر النهضة وأن النهضة الفرنسية بالذات هي بنت هذا الإرضاع>>.[1]

وهو يدين لخديجة لاكتشافه هذا الوجه الأصيل للحضارة الغربية، حيث يقول:<< والآن بعد أربعين سنة، عندما تعود لفكرِ تلك الذكريات، أتصور أنَّ تلك الأقدار التي جعلتني وسيلة تعرفت خديجة بواسطتها على الإسلام وقد جعلتها وسيلة لكي أتعرف على الحضارة الأصيلة لفرنسا، في هذا الريف حيث استقبلتني أمها استقبالا حلى كل عقدة بيننا، وجعلني أتقبل دون تردد العرف الذي يقضي بأن الصهر، زوج البنت، ينادي أُمها "يا أمي">>.[2]

وقد استفادَ من تلك المرأة في اكتشافه لجوانب مهمة من جوانب من حياة من البيئة الفرنسية، فقد ورثت هذه المرأة- كما يقول- من آبائها الفلاحين بضاحية العاصمة كل ما تتميز به أجيال فلاحي (جزيرة فرنسا).

وأتيح لي بهذه المناسبة معرفة الفرق بين الأم وزوجتي خديجة التي كانت منن أصل برجوني، وكانت بسبب ذلك أكثر ميلاً إلى العزلة والتأمل السكون الأمر الذي يحدث أحيانا بعض سوء التفاهم بين المرأتين.

(*)- سولى: كان المساعد الأيمن لهنري الرابع في محاولته في إعادته البناء.

(**)- هنري: لقب ملوك فرنسا، وهنلري الرابع هو هنري نقار بن أنطوان دي بوربون ولد سنة 1554، وقضى مرحلة من حياته في القتال ىوعمل مدة حكمة على بناء بلده.

1- مالك بن نبي: من مذكرات مالك بن نبي، مصدر سابق ص269.

2- المصدر نفسه ، ص270.

<< وهذا جانب جديد أكتشفه في الحياة الفرنسية، مع (هذه الأم)–الباريسية القروية– المرأة التي تتقن تربية الدواجن وتسمي كل نبات بري باسمه خير ما يفعل صيدلي عطار، ومن ناحية أخرى تقرأ (بلزاك)(*) وتظم بحنو جُلى كتبه في مكتبة صغيرة، رتبتها لنفسها في ركن من خزانة أثاث الأكل، اطلعت بفضلها على بعض الجوانب الخفية التي لا تبصرها العين في العاصمة وهكذا تم اكتشافي للحياة الفرنسية كما تبرزها الطبيعة، وأن عملية التقطير التي تجرى عليها بباريس>>.[1]

وبذلك يكون الوجه الثاني لفرنسا قد تجسد عند مالك بن نبي من خلال معايشته لفرنسا بلد الحضارة، بلد الثقافة على عكس الوجه الذي تركه مالك بن نبي في الجزائر، فرنسا الاستعمار القاهر المدمر للشعوب، حيث أوصل الجزائر إلى مرحلة الأفول (قمة الانحطاط) على عكس ما يجري في بلدها الذي وصلت به الحضارة إلى الطور الأوج–طور النهضة الصاعد– الذي شهد انتشار الحضارة وتوسعها.

(*)– بلزاك: وقد قرأ إنتاج بلزاك لدى تلك المرأة فأضافت تلك القراءة مع الملاحظات التي يقوم بها أثر قوي في اكتشافه للحياة الفرنسية وأصول الحضارة.

1- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص272.

خاتمة

خـاتـمة:

مالك بن نبي عالم ومفكر جزائري، نذر حياته في خدمة القضايا الإنسانية العادلة ابتداءاً من القضية الجزائرية إلى القضايا القومية والإسلامية وانتهاءاً بمعضلات العالم الثالث، عرف لدى الخاصة من المستنيرين بقوة طرحه وعمق استنتاجاته، وغاب عن العامة لصعوبة الخوض في عالمه الفكري المركب إلى يحتاج الفك والتحليل من طرف المختصين قصد الإفادة منه، وبذلك ظل مالك بن نبي مفكراً للجدل والنقاش كما ظلت كتاباته كذلك محوراً للجدل والنقاش في مساحة واسعة للأخذ والعطاء، فقد حاول مالك بن نبي أن يجتاز بفكره كل عوائق التقدم والحضارة والاستعمار لدى أبناء الأمة الإسلامية، فكان بذلك من المفكرين المعاصرين القلائل الذين خصصوا عمل حياتهم وجهودهم وقدموا عصارة فكرهم في محاولة لفهم المشكلات الحضارية التي يعاني منها العالم الإسلامي.

- ✓ كان محبا للعلم والعلماء منذ الصغر، وحبا للقراءة والثقافة حيث قرأ العديد من الكتب العلمية والثقافية.
- ✓ إن عقيدة هذا المفكر ترجع من حيث الأصول إلى السلفية حيث يطالب في كتبه بالعودة إلى القرآن الكريم لدراسة آياته لتكون منهجاً عمليا في حياة المسلم.
- ✓ لقد مدحه الكثير من العلماء والمفكرين أمثال أمثالب الأستاذ :أنور الجندي" و"محمود محمد شاكر" وغيرها.
- ✓ له العديد من المؤلفات الفكرية والدينية ومنها بعض الكتب الغير منشورة.
- ✓ مالك بن نبي كان صاحب منهج وله أدواته التحليلية الخاصة به كما كانت له مصطلحاته الخاصة التي أبدعها والتي فك الارتباط بينها وبين مجالها الدلالي الغربي وأعطاها دلالات ترتبط بمنظوره الحضاري ومرجعيته الإسلامية.
- ✓ بدأت نشاطات مالك بن نبي السياسية بفرنسا وتحديداً بالحي الاتيني أين كان يدعو للإصلاح والوهابية والوحدة المغربية ولكل الشعارات التي تعطي معنى واحد وهو الإسلام.
- ✓ حياة مالك بن نبي الدراسية والسياسية بباريس في فرنسا ما بين 1930-1939- وهو من بلد مستعمر مكنته من أن يطلع على ما كان يجري العالم من أحداث سياسية وتقلبات عسكرية وكشف له جليا أمر فرنسا ذو وجهين، وأيقن بأنه لا سبيل لتحضر

الشعوب المستعمرة إلا إذا تخلصت من الاستعمار ولا يمكنها ذلك إلا بالتخلص من القابلية للاستعمار، وهي ظاهرة أخطر من الاستعمار ذاته.

- ✓ مالك بن نبي كان شاهداً على حقبة مظلمة عاشتها الجزائر ونقلها لنا بكل أمانة وصدق.
- ✓ مذكرات مالك بن نبي، مذكرات شاهد يتحدث إلينا خلف ستار، وهو يحاول أن ينقل إلينا فيتصرف بالأحداث.
- ✓ كتاب مذكرات شاهد للقرن يكشف لنا مكونات فكر بن نبي، وهاجسه العميق الذي رافقه طيلة حياته.
- ✓ مالك بن نبي شاهد قرن ومبلغ فيه لما شهد، والتبليغ في منعطفات التاريخ رؤية فكرية وروحية معاً، وفي صيغته وضوح المعالم، وفي حرارته شرارة الإقلاع.
- ✓ من خلال مذكراته تعرفنا على الوجهين المختلفين لفرنسا؛ الوجه الحقيقي الجميل للحضارة العظيمة بفرنسا، والوجه الآخر القبيح الكريه الذي يبرز من خلال مستعمراتها.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ المصادر:

- القرآن الكريم.

1. عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة إبن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، د4، 2005.
2. مالك بن نبي: آفاق جزائرية للحضارة الثقافية للمعمومية، تلا: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط، 1991.
3. مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1981.
4. مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1981.
5. مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط4، 1420، 2000م.
6. مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط1، 1991.
7. مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط3، 1987.
8. مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، د.ط، بيروت، 2002.
9. مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، د.ط، 2005.
10. مالك بن نبي: رجل الحضارة (مسيرته وعطائه)، دار الأمل، د.ط، د.س.
11. مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، 1986.
12. مالك بن نبي: شروط النهضة، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 20.
13. مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية (في ضوء مؤتمر باندونغ)، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 2006.
14. مالك بن نبي: في مهب المعركة –إرهاصات الثورة، دار الفكر، دمشق، ط3، 1981.
15. مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، تر:زيدان خوليف، دار الفكر، دمشق، ط1، 2009.
16. مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، ط2، 2004.
17. مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، ط2، دار الفكر، دمشق، 2004.

18. مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ج1، دار الفكر المعاصر، ط3، دمشق، 1986.

❖ **المراجع:**

19. أسعد السحمراني: مالك بن نبي "مفكراً اِصلاحياً"، دار النفائس، ط1، 1404هـ.

20. البشير قلاتي: هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغيير الاجتماعي والبحث الحضاري، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، الجزائر، 2007.

21. الجندي أنور: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة، الدار القوميةللطباعة والنشر، 1925.

22. الطيب برغوث: محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الشاطية للنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ، 2012م.

23. عفت الشرقاوي: في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

24. عماد الدّين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ط2، دار العلم للملايين، د.ط، 1978.

25. مسقاوي، عمر كامل، نظرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، ط1، 1989.

26. مولود عويمر: مالك بن نبي رجل حضارة (مسيرته وعطاءه الفكري)، دار الأمل، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2007.

27. نور الدين مسعودان: مالك بن نبي بقلم معاصريه، دار النون للطباعة والنشر، ط2،آ د.ت.

❖ **الدّراسات السابقة:**

28. عبد الله بن محمد العويسي، مالك بن نبي –حياته وفكره، مكتبة فهد الوطنية، ط1، 1416م.

29. العقبي حسن موسى محمد، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، مذكرات لنيل شهادة ماجستير، تحت اِشراف الدكتور صالح الرقيب، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية، غزة، 2005.

30. لويزة لعميري: نظرية الثقافة عند مالك بن نبي–دراسة تحليلية (مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تحت إشراف الأستاذ خال عقون، قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014.

❖ **المجالات والدّوريات:**

31. سليمان الخطيب: المسألة الحضارية بين مالك بن نبي وسيد قطب، مجلة رؤى (مجلة نسوية)، العدد 20، مركز الدراسات الحضارية، باريس، 2003.

32. مجلة الثقافة الجزائرية، عدد 11، 1974.

❖ **المعاجم والقواميس:**

33. اِبن الفيروز: القاموس المحيط ، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1983.

34. ابن منظور: لسان العرب، دار صابر، بيروت، د.ط، 1992.

35. أنس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار الفكر، د.ط، د.س.

❖ **المواقع الإلكترونية:**

36. موقع الأستاذ مالك بن نبي، محطات في حياة مالك بن نبي www.binnabi.net

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر وعرفان	
مقدمة	**أ–د**
الفصل الأول: حياة مالك بن نبي	
تـمـهيد.....	**6**
المبحث الأول: المولد والنشأة.....	**7**
المبحث الثاني: مرضه ووفاته.....	**11**
المبحث الثالث: صفاته الخلقية والخُلقية.....	**12**
المبحث الرابع: شخصية مالك كما عرفه ومعاصره.....	**14**
خلاصة.....	**17**
الفصل الثاني: عطاؤه الفكري	
تمهيد.....	**19**
المبحث الأول: مرجعيته الفكرية.....	**20**
المبحث الثاني: مؤلفات مالك بن نبي.....	**26**
المبحث الثالث: قراءة في فكر مالك بن نبي.....	**38**
المبحث الرابع: معتقدات مالك بن نبي وأقواله المأثورة.....	**62**
خلاصة.....	**67**
الفصل الثالث: الشرق والغرب في مذكرات شاهد للقرن	
المبحث الأول: عرض كتاب مذكرات شاهد للقرن.....	**69**
المبحث الثاني: الهدف من كتابه بن نبي مذكراته.....	**79**
المبحث الثالث: الشرق في مذكرات شاهد للقرن.....	**80**
المبحث الرابع: الغرب في مذكرات شاهد للقرن.....	**84**
خاتمة.....	**90**
قائمة المصادر والمراجع.....	**93**
ملخص	

ملخص

تناولت في هذا البحث دراسة للشرق والغرب في كتاب "مذكرات شاهد القرن لبن نبي" بقسميه الطفل 1905-1930 والطالب 1930-1939.

بدأت بمقدمة تضمنت تعريف بالموضوع، إشكاليته، أهميته، دوافع اختياره

تم تحليل الموضوع وفق ثلاث فصول تطرقنا في الفصل الأول إلى حياة مالك بن نبي مستعينة في ذلك بكتابه "مذكرات شاهد للقرن" و"عطاؤه الفكري" حيث تطرقنا فيه إلى المشارب الحضرية لمالك بن نبي كما تحدثنا عن آثاره ومؤلفاته وأهم يميز هذا الفكر عن غيره من المفكرين، أما الفصل الثالث فقد كان فصل تطبيقي للبحث تحت عنوان "الشرق والغرب" في مذكرات شاهد للقرن وهي عبارة عن الفترة التي عاشها بن نبي في الفترة ما بين 1905-1939 في الشرق الجزائري والغرب الفرنسي ثم ختمت بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

Summary :

In this research, we made a study for the East and the West through Malik bin Nabi's book "Memoirs of the Witness of the centery" depending its two chapters « the Child » 1905-1930 and « the student » 1930-1939.

It began with an introduction that included a definition of the subject, its problematic nature, its importance, the motives for its selection

The subject was analyzed according to three chapters. In the first chapter we discussed the life of Malik bin Nabi, using the book "Memoirs of the witness of the century" and "intellectual gifts" where we touched on the urban stripes of Malik bin Nabi, as we talked about the group and most important writings distinguish this thought from others Of the thinkers. The third chapter was an applied chapter of the research under the title "East and West" in the memoirs of a witness to the century, which is the period of Ben Nabi in the period between 1905-1939 in the east of Algeria and the French West and then concluded by concluding the most important findings Through this study.